

بدائع

التوجيهات النبوية

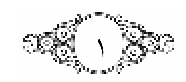
منهج تربوي لطلاب

الحلقات والمراكز القرآنية

إعـــداد

د. أنس أحمد كرزون

دار نور المكتبات





m :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد :

فإن الحياة في ظلال الإسلام نعمة عظمى، وتظهر الآثار الجلية لتلك النعمة عندما يُقبل المرء على مجالس تعليم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ينهل من معينها العلم النافع والعمل الصالح، الذي يسمو بالأرواح، ويغسل صدأ القلوب، ويمنح النفوس صفاءها وإشراقها وراحتها .

ولهذا حرصت الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم على تزويد المعاهد والمراكز القرآنية بالمناهج والكتب التوجيهية التي تُعنى بالحديث النبوي الشريف، ومن أبرزها (الأربعون النووية) للإمام النووي رحمه الله، والتي قال عنها الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله :

(اشتهرت هذه الأربعون وكثُر حفظها، ونفع الله بها ببركة نيَّةِ جامعها، وحُسنِ قصده رحمه الله) [١] .

وقد أكرمني الله عز وجل منذ سنوات عديدة لاختيار مجموعة من الأحاديث النبوية التي لم تُذكر في (الأربعين النووية) لتكون منهجاً تكميلياً لطلاب المعاهد والمراكز القرآنية وصدرت في جزئين بعنوان: (دروس من الهدي النبوي) يضم كل جزء أربعة عشراً حديثاً نبوياً، مع شرحها واستخلاص الدروس والعبر منها .

وقد لمستُ الحاجة إلى إصدار كتاب آخر يضم بدائع التوجيهات النبوية، ليكون منهجاً لطلاب السنة الثانية في المعاهد والمراكز القرآنية، ومرشداً للدعاة والخطباء والمربين، فعزمت على اختيار أبرز الأحاديث النبوية التي تمس حياة الناس وتعالج مشكلاتهم.

(١) جامع العلوم والحكم – للإمام ابن رجب – ص١٢ .





وقد حرصت في هذا المنهج على الجوانب التالية:

١ - أن يضم أربعين حديثاً نبوياً [٢] مع شرحها بأسلوب تربوي، يناسب مختلف الأعمار، وخاصة سنَّ الشباب في المرحلة الثانوية وما بعدها، يستنهض هممهم للتسابق في ميادين الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة، لتكون غذاء للأرواح وشفاء للنفوس، وحياة للأمم والشعوب.

٢ - البدء بحديث (الراحمون يرحمهم الرحمن) تأسياً بما كان يفعله المحدِّثون من البدء بتعليم هذا الحديث لتلاميذهم، ليكون أول حديث يسمعه التلميذ من شيخه، وفيه إبراز سمة عظمى من سمات هذا الدين، وهي الرحمة والشفقة بالناس والحرص على هدايتهم .

٣ - الختم بحديث غراس الجنة تأسياً بما ختم به عدد من العلماء كتبهم كالإمام البخاري رحمه الله وغيره، ليكون سعي المسلم لبلوغ الجنة وغراسها بالعمل الصالح ملازماً له حتى آخر لحظة من حياته .

٤ - التنويع في اختيار الأحاديث النبوية لتشمل مختلف القضايا التربوية التي تهم الشباب المعاصر عموماً، وطلاب المراكز والحلقات القرآنية بشكل خاص، لينهلوا من معانيها علماً وسلوكاً والتزاماً .

سائلاً المولى عز وجل أن يرزقنا أعمالاً زاكية يرضى بها عنا، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحُسن عبادته، ويجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهله وخاصته.

والحمد لله رب العالمين .

---

(٢) وردت روايات عديدة استأنس بها العلماء في جمع أربعين حديثاً تضم أبرز التوجيهات النبوية وأصول الدين، ومنها قوله r :

(من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء) .

وفي رواية: (وكنتُ له يوم القيامة شافعاً وشهيداً) وقد نقل الحافظ ابن حجر أن هذا الحديث ورد في رواية ثلاثة عشر صحابياً، وذكر المناوي أن أسانيدها فيها مقال لكن كثرة طرقه تقويه . [فيض القدير ٥/١١٩] ولهذا ذكر الإمام النووي في مقدمة الأربعين أن خلائق لا يحصون من العلماء صنفوا وجمعوا أربعين حديثاً، ثم قال: (استخرت الله تعالى في جمع أربعين حديثاً اقتداء بهؤلاء الأعلام وحفاظ الإسلام) . ولا يسعني إلا أن أقول كما قال الشاعر:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... أن التشبه بالكرام فلاح





الرحمة شعار الإسلام

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله e قال:

((الراحمونَ يرحمهــم الرحمن ، ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم مَنْ في السماء)) [٣].

التوجيهات:

التراحم والتعاطف صفة أساسية من صفات الصالحين، فقلوبهم لا تعرف إلا الشفقة والرحمة، ومن نُزعت منه هذه الرحمة فهو الشقي البعيد عن رحمة الله U ، كما قال النبي e : (لا تُنزع الرحمة إلا من شقي)[٤] .

وقد وصف الله سبحانه عباده المؤمنين بأنهم يتواصون بالمرحمة، فقال تعالى: { ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ } [٥] .

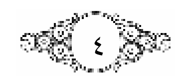
وبهذا التراحم يتم التعاون وتسود المحبة بين أبناء المجتمع المسلم، ويبادر كلٌ منهم إلى إرشاد أخيه ونصحه، وتقديم العون له.

---

(٣) رواه الترمذي - رقم/ ١٩٢٤ وقال: حديث حسن صحيح ، ورواه أبو داود رقم -/ ٤٩٤١، والإمام أحمد ٢/ ١٦٠، والحاكم ٤/ ١٥٩ وصححه وأقره الذهبي ، وأورد الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٩٠) رواية مشابهة وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(٤) رواه الإمام أحمد ٢/ ٣٠١، والبخاري في الأدب المفرد - رقم/ ٣٧٤، وأبو داود – رقم/ ٤٩٤٢ ، والترمذي - رقم/ ١٩٢٤، وقال: حديث حسن .

(٥) سورة البلد / الآيتان ١٧-١٨.





ولو تأملنا حال السلف الصالح في تربية نفوس تلاميذهم على الرحمة والرفق لعرفنا أهمية هذا الأمر، فقد كان شيخ الحديث في كل عصر يبدأ برواية الحديث لتلاميذه باختيار هذا الحديث المهم: (الراحمون يرحمهم الرحمن) .

ويسمى هذا الحديث: **الحديث المسلسل بالأوَّلية،** لأن الشيخ كان يبدأ به قبل أحاديث الأحكام والعبادات، فيأتي التلميذ فيروي هذا الحديث لمن بعده قائلاً: (حدثني شيخي فلان وهو أول حديثٍ سمعته منه)[٦]، ويتناقل الرواة جيلاً بعد جيل هذه الجملة مع متن الحديث ليكون أول حديث سمعه التلميذ من شيخه .

قال السيد عبد الحي الكتاني: (تداولته الأمة، واعتنى به أهل الصناعة [٧]، فقدَّموه في الرواية على غيره، ليتم لهم بذلك التسلسل)[٨].

أفلا يدل ذلك على معنىً مهم ينبغي التوقف عنده ملياً ؟! .

أجل . إن علماءنا الأجلاء حريصون على التربية وغرس الأدب النبوي في نفوس التلاميذ، ليكون طلب العلم الشرعي **مبنياً** على أساس متين وقلب سليم، وليكون دليلاً على ضرورة غرس الرحمة في النفوس، وتقوية الوازع الديني، وتزكية النفس حتى تُقبل على العلم بمحبة وخشية من الله U، وتتمسك بحبل الله المتين، فالرحمة بالعباد عنوان الشريعة السمحاء .

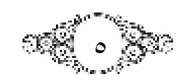
وإذا أشرقت النفوس بتلك الرحمة وامتلأت حنايا القلوب بأنوارها أضاءت للإنسان طريق الخير والمحبة، وأصبحت تربة خصبة لغرس العلوم والمعاني الإيمانية، وسياجاً واقياً من الوقوع في العنف والقسوة .

---

(٦) ينظر كتاب: جياد المسلسلات للإمام السيوطي – تحقيق الشيخ مجد مكي – ص/ ٧٣ وكتاب: المناهل السلسلة في الأحاديث المسلسلة - للشيخ محمد عبد الباقي الأيوبي - ص/٦.

(٧) أي : أهل الحديث ورواته .

(٨) فهرس الفهارس للكتاني ١/ ٩٣ .





ومن أراد التأسي الصادق بالنبي e فليتدبر قول الله U مخاطباً رسوله الكريم : { وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ } [٩] .

وقول المصطفى عليه الصلاة والسلام : (إنما أنا رحمة مُهداة) [١٠] .

ولقد بلغت رحمته e بالمخلوقات مبلغاً كبيراً، حتى بالحيوانات التي سخرها الله لنا .

ولما التزم المسلمون بهذه الرحمة والشفقة دخل الناس في دين الله أفواجاً، وتحولت كثير من الأمم والشعوب إلى الإسلام، محبةً للمسلمين وإعجاباً بهم وبأخلاقهم وحسن تعاملهم .

فإذا أردنا أن ندعو للإسلام فلنكن صورةً صادقةً لتعاليمه، فقد شقي العالم بالعداوات والخصومات والعنف، واشتدت الحاجة إلى الرحمة والحنان والبر والإحسان، ولن يجد العالم ذلك إلا في دين الإسلام وتعاليم القرآن .

---

(٩) سورة الأنبياء / آية ١٠٧ .

(١٠) رواه الحاكم ١ / ٣٥، وصححه ووافقه الذهبي .





طريق الجنة

عن أبي هريرة t أن رسول الله e قال :

((كلُّ أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قيل: ومَنْ يأبى يا رسول الله ؟

قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى)) [١١] .

المفردات :

أبى : امتنع عن امتثال أمر الله ورسوله .

التوجيهات:

أنت أيها المسلم تحب الله ورسوله ، ولكن المحبة الصادقة لا تكون إلا بالاتباع الكامل والامتثال لأمر الله U ، فإن أردت دخول الجنة والسعادة في الدنيا والآخرة فعليك بطاعة الله ورسوله ، والله سبحانه وتعالى يقول : { مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا } [١٢] ويقول U : { وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ } [١٣] .

وكم نجد مِن أناس يدَّعون محبة الله ورسوله مع إصرارهم على المعاصي، وتركهم للفرائض والتقاعس عن أدائها، فكيف يطمع هؤلاء في دخول الجنة مع السابقين الأولين وهم لا يسارعون إلى طاعة الرحمن ولا يتبعون هدي النبي e ؟

{قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ

(١١) رواه البخاري - رقم / ٦٨٥١

(١٢) سورة النساء / آية ٨٠ .

(١٣) سورة الحشر / آية ٧ .





وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ } [١٤] .

وتأمل قول الشاعر :

تعصي الإله وأنت تزعم حبَّه ... هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبُّك صادقاً لأطعته ... إن المحبَ لمن يحبُ مطيعُ

وقد ثبت في الصحيح أن مَثَل النبي e ومثل من أطاعه وأعرض عن دعوته: **(كمثل رجل بنى داراً ، وجعل فيها مأدبة ، وبعث داعياً ، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة من لم يُجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، فالدار الجنة ، والداعي محمد e ، فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله ، ومن عصى محمداً فقد عصى الله)** [١٥] .

ومهما حاول الإنسان أن يُسعد نفسه ويحظى بالحياة الطيبة بعيداً عن هدي الإسلام فإنه لن يفلح أبداً، وسيبقى شقياً تعيساً.

ولا يكفي مجرد النطق بالشهادتين في النجاة يوم القيامة إذا لم يتبعها العمل الصالح، وطاعة الله ورسوله ، فالإيمان ما وَقَر في القلب وصدَّقهُ العمل .

والجنة سلعة غالية، ولابد من بذل الجهد ومجاهدة النفس للوصول إليها والظفر بنعيمها، ولهذا جاء في حديث أنس t أن الرسول e قال: **(حُفَّت الجنة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات)** [١٦].

ولهذا أورد البخاري عن وهب بن منبّه رحمه الله أنه قيل له :

(أليس "لا إله إلا الله" مفتاح الجنة ؟

قال : بلى ، ولكنْ ليس مفتاحٌ إلا له أسنان ، فإن جئتَ بمفتاحٍ له أسنانٌ فُتِحَ لك، وإلا لم يُفتح لك) [١٧] .

---

(١٤) سورة آل عمران / الآيتان ٣١-٣٢ .

(١٥) رواه البخاري - رقم / ٦٨٥٢ .

(١٦) رواه مسلم - رقم / ٢٨٢٢ .

(١٧) أخرجه البخاري تعليقاً في صحيحه – مقدمة كتاب الجنائز – ٣ / ٨٨ .



وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم رحمه الله :

((لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم ... وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقةً بهدي النبي e فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف مِن هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل في عِداد أتباعه))[١٨] .

---

(١٨) زاد المعاد ١/ ٦٩ .





٣

المجالس المباركة

عن معاوية t أنَّ رسول الله e خرجَ على حلقةٍ من أصحابه، فقال:

((ما أجلَسَكُمْ ؟ قالوا : جَلسْنا نذكرُ الله ونَحمدهُ على ما هدانا لِلإسلام ومَنَّ به علينا، قال: آللهِ ما أجلسَكُمْ إلاَّ ذاك ؟ قالوا: واللهِ ما أجلسَنا إلاَّ ذاك. قال: أَما إني لم أَستحلفْكُم تُهمةً لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أنَّ الله U يُباهي بكم الملائكة)) (١٩)

التوجيهات :

أعظم نعمة أنعم الله بها علينا هي هذا الدين الحق الذي أرشدنا إليه، وهذا الكتاب المبين الذي أنزله على رسوله الأمين e ، وكلما زاد المسلم تمسكاً بدينه وتفقهاً في أحكامه وتعلُّماً للقرآن العظيم ، وتدبُّراً لآياته ، ونشراً له بين الناس ، كلما ازداد فرحه وسروره وطلبهُ للمزيد .

ولقد أردك الصحابة والسلف الصالحُ رضي الله عنهم أهمِّيَةَ النِّعمةِ التي امتنَّ الله بها عليهم بالهدايةِ للإسلام، وَتنزُّلِ القرآن فسارَعوا إلى شُكْرِها والإقبال على اغتنام فضائلها.

ويصف هذا الحديث مشهد اجتماع بعض الصحابة رضي الله عنهم في حلقه علمٍ يذكرون الله U ويحمدونه على ما هداهم للإسلام ، وبذلك استحقوا البشارة النبوية بأن الله U يباهي ويفاخر بهم الملائكة المقربين.

ومن أعظم هذه المجالس المباركة التي تحفها الملائكة حلقات القرآن الكريم في المساجد، والتي أشاد بها النبي الأكرم e بقوله: **((وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا**

---

(١٩) رواه مسلم - رقم / ٢٧٠١ .





نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده)) [٢٠] .

والسكينة: حال يطمئن بها القلب فلا ينزعج من مصائب الدنيا .

وغشيتهم الرحمة: أي غطَّتهم من كل جهة .

وحفتهم الملائكة: أي أحاطت بهم .

وهذا يؤكد استحباب الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم وتعلُّمه[٢١] ودراسة العلوم الشرعية ، والتذكير بنِعم الله U ، وهذا ما كان يفعله الصحابة y ليزدادوا إيماناً وخشية من الله سبحانه ، وينوِّروا قلوبهم بذكره وشكره .

عن أنس بن مالك t قال : (كان عبد الله بن رواحة إذا لقيَ الرجلَ من أصحاب رسول الله e قال : تعال نؤمن بربنا ساعة ، فقال ذات يومٍ لرجل فغضب الرجل ، فجاء إلى النبي e فقال : يا رسول الله ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة ، فقال النبي e : (يرحم الله ابن رواحة إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة) [٢٢] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قلت : يا رسول الله ، ما غنيمةُ مجالس الذكر ؟ قال : (غنيمةُ مجالس الذكرِ الجنة) [٢٣] .

فهلموا إلى مجالس الإيمان يا عباد الرحمن لتظفروا بالرحمة والرضوان .

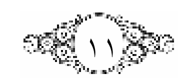
---

(٢٠) رواه مسلم - رقم / ٢٦٩٩

(٢١) ينظر : التبيان في آداب حملة القرآن - للنووي - ص / ٨٢ .

(٢٢) رروا‌ه الإمام أحمد في مسنده - ٣/ ٢٦٥ ، وحسّنه المنذري في الترغيب والترهيب - رقم / ٢٢٢٩ .

(٢٣) رواه الإمام أحمد ٢/ ١٧٧ - وحسّنه المنذري في الترغيب - رقم / ٢٢٣٤ .





الخيرية العظمى

عن عثمان بن عفان t عن النبي e قال :

((خيركم من تعلَّم القرآنَ وعلَّمه)) [٢٤]

وفي رواية : **((إنَّ أفضلكم من تعلَّم القرآن وعلَّمه))** [٢٥]

التوجيهات :

في هذا الحديث دليل على أنَّ خير المتعلمين والمعلِّمين وأفضلهم من كان تعلُّمه وتعليمه في القرآن الكريم ، فهو كلام الله سبحانه والذكر الحكيم، وهذه الخيرية لا يكتسبها المؤمن إلا إذا جمع بين التعلُّم والتعليم ، لأنه بذلك يكون مكمِّلاً لنفسه ولغيره ، ولهذا أرشد النبي e أصحابه إلى هذه الخيرية العظمى.

وقد روي هذا الحديث عن عثمان بن عفان t تلميذه التابعي الجليل أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السُّلمي، ثم قال: (**وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا**) أي: إنه قعد هذا المقعد الجليل لتعليم القرآن في مسجد الكوفة أربعين سنة ابتغاء هذا الأجر العظيم من الله U، وذلك منذ خلافة عثمان t حتى ولاية الحجاج [٢٦].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (المراد بالخيرية من جهة حصول التعليم بعد العلم ... بل من أشرف العمل تعليمُ الغير، فمعلِّمُ غيره يستلزم أن يكون تعلَّمه .... ولا شك أنَّ الجامع بين تعلُّم القرآن وتعليمه مكمِّلٌ لنفسه ولغيره، جامعٌ بين النفع القاصر والنفع المعتدي، ولهذا كان أفضل، وهو من جملةِ من عَنَى سبحانه

---

(٢٤) رواه البخاري - رقم/٤٧٣٩ .

(٢٥) رواه البخاري - رقم / ٤٧٤٠ .

(٢٦) حيث قال سعد بن عُبيد تلميذ أبي عبد الرحمن السلمي (كما في رواية البخاري): (وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان حتى كان الحجاج) . وقد حدَّد الإمام ابن حجر هذه المدة بقوله: (بين أول خلافة عثمان وآخر ولاية الحجاج اثنان وسبعون سنه، وبين آخر خلافة عثمان وأول ولاية الحجاج للعراق ثمان وثلاثون سنة) وتوفي أبو عبد الرحمن سنة ٧٤ هـ . (ينظر: فتح الباري – ٩/ ٧٦) .





وتعالى بقوله: { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ } (٢٧) والدعاء إلى الله يقع بأمور شتى، من جملتها تعليم القرآن، وهو أشرف الجميع)(٢٨).

وقال الطيبي رحمه الله: (ولابدَّ من تقييد العلم والتعليم بالإخلاص، فمن أخلصها وتخلَّق بها ، دخل في زمرة الأنبياء) (٢٩) .

وقال الإمام ابن القيِّم رحمه الله: (وتعلُّم القرآن وتعليمه يتناول تعلُّم حروفه وتعليمها، وتعلُّم معانيه وتعليمها، وهو أشرف قِسمَي علمه وتعليمه، فإنَّ المعنى هو المقصود) (٣٠).

وما أبدع ثناء الرسول ﷺ على أحد صحابته المبادرين لتعلُّم القرآن الكريم ، وذلك في حديث عائشة رضي الله عنها قالت : ذُكر رجل عند النبي ﷺ بخير ، فقال : (أوَلَمْ تَروْهُ يتعلَّمُ القرآن) (٣١) .

فبادر ـ أخي الكريم ـ إلى اللحاق بركب تعلُّم القرآن الكريم وتعليمه قدر استطاعتك، لتنال الخيرية العظمى، وتحظى بالشرف الكبير والأجر الجزيل.

---

(٢٧) سورة فصلت /آية ٣٣ .

(٢٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري – ٩ / ٧٦ .

(٢٩) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي - ٣ / ٤٩٩ .

(٣٠) مفتاح دار السعادة - ١ / ٧٤ .

(٣١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦ / ٦٦ ، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ١٦٢ .





الخوف والرجاء

عن أبي هريرة t قال، قال رسول الله e : ((**من خاف أَدلجَ، ومن أدلج بلغَ المنـزِل، ألا إنَّ سِلعةَ الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**))[٣٢].

المفردات :

خاف : أي : الإغارة من العدو وقت السحر .

أدلج : سار أول الليل .

بلغ المنـزل : وصل إلى المطلب .

التوجيهات :

في هذه الحديث دليل مهم على دور الترهيب في تزكية النفس، فمن خاف الليل الحالك في المكان الموحش أسرع في السير أول الليل، حتى يصل إلى مكان آمن، وإذا تباطأ وتقاعس اجتمعت عليه المخاوف، وكذلك العبد المؤمن الذي يسير في طريق الآخرة ينبغي له أن يسارع إلى الطاعات ويهرب من المعاصي حتى يصل إلى الجنة بإذن الله تعالى.

قال الطيبي: ((هذا مثل ضربه الرسول e لسالك الآخرة ، فإن الشيطان على طريقه، والنفس و أمانيه الكاذبة أعوانه، فإن تيقَّظ في مسيره وأخلص النية في عمله أَمِن مـن الـشيطان وكيـده .. ثـم أرشـد إلى أن سلوك طريق الآخرة صعب، وتحصيل الآخرة متعسر فقـال: (**ألا إن سـلعة الله غاليـة**) يعنـي: ثمنهـا مـن الأعمال الباقية))[٣٣] .

(٣٢) رواه الترمذي – رقم / ٢٥٦٧ ، وقال : حديث حسن غريب، والحاكم ٤ /٣٠٧، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني – رقم/٢٣٣٥

(٣٣) تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي ١٢٤/٧





وهكذا شأن المسلم الذي يقطع أيام عمره في الحياة الدنيا مسافراً إلى الدار الآخرة، فهو في سعي دائم رجاء رحمة ربه ونيل جنته، وفي خوف من أن تنقطع به السُبل فلا يبلغ المنزل ولا يحقق ما يتمناه، ولا يصل إلى السلعة النفيسة التي يطلبها.

والناس في هذه الحياة يكدحون ويبذلون جهدهم لتحقيق غاياتهم، ولكن بعضهم يشقي نفسه غافلاً عن طاعة ربه فلا يجني إلا المزيد من الشقاء، والبعض الآخر جعل الدنيا مزرعة للآخرة فنال السعادة والهناء.

وقد وصف النبي e حال هذين الفريقين بأبدع وصف فقال: **(كلُّ الناس يغدو فبائعٌ نفسه فمعتقها أو موبقها)** [٣٤] .

قال الإمام النووي رحمه الله :

(معناه : كل إنسان يسعى بنفسه ، فمنهم من يبيعها لله تعالى بطاعته ، فيعتقها من العذاب ، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما فيوبقها ، أي : يهلكها) [٣٥] .

فالصادق في محبة نفسه والحرص على نجاتها يسعى في إعتاقها من عذاب الله، ويخاف عليها من الشرور وظلمات المعاصي .

ولهذا ينبغي للمؤمن أن يسارع إلى إطفاء لهيب الآثام بالاستغفار والصلوات، والمسارعة في الخيرات، والإكثار من الطاعات .

عن أنس بن مالك t قال: قال رسول الله e : (إنَّ لله مَلَكاً ينادي عند كل صلاة: يا بني آدم قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها فأطفئوها) [٣٦] .

(٣٤) جزء من حديث رواه مسلم - رقم /٢٢٣ .

(٣٥) شرح النووي على صحيح مسلم - ٣/ ١٠٠ .

(٣٦) رواه الطبراني في الأوسط ٢/ ١٣٠، ورجال إسناده محتج بهم في الصحيح كما قال المنذري في "الترغيب والترهيب" – ص/ ٧٣ .





٦

محاسبة النفس

عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله e : ((**الكيِّس من دانَ نفسَهُ وعمِل لما بعد الموت، والعاجزُ من أَتبعَ نفسَهُ هواها وتمنَّى على الله**)) [٣٧].

المفردات :

الكيِّس : (بتشديد الياء) : أي : العاقل الفَطِن .

دان نفسه : حاسبها في الدنيا قبل أن يحاسَبَ يوم القيامة .

عمل لما بعد الموت : قبل نزوله ، ليصير على نور من ربه .

العاجز : المقصِّر في الأمور، الذي غلبت عليه نفسه .

التوجيهات :

شتان بين العاقل الذي يحرص على نجاة نفسه من عذاب الله يوم القيامة، والعاجز الـذي أتبـع نفـسه هواها ، فلم يكفَّها عن الشهوات، ولم يمنعها من مقاربة المحرمات، ثم تجده مع تفريطه في طاعة ربه واتباع شهواته لا يعتذر ولا يتوب، بل يتمنى على الله أن لا يحاسبه، فهو يذنب ويتمنى الجنة من غـير الاسـتغفار والتوبة .

فالواجب على كل مسلم أن يحاسب نفسه ويعاتبها ليأمن شرها وتماديها، ويسعى لتقواها ونجاتها، وقد قال الله U : { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ } [٣٨].

---

[٣٧] رواه ابن ماجه – رقم/ ٤٢٦٠، والترمذي – رقم/ ٢٤٥٩ وقال : حديث حسن .

[٣٨] سورة الحشر / الآيتان ١٨-١٩ .





وتأمل قول عمر بن الخطاب t :

(حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزَنوا، فإنه أهونُ عليكم في الحساب غداً أن تحاسِبوا أنفسكم اليوم)[٣٩] .

ومن بدائع وصايا الإمام الجوزي قوله رحمه الله:

(انتبه يا بُني لنفسك، واندم على ما مضى من تفريطك، واجتهد في لحاق الكاملين مادام في الوقت سَعَة، واسقِ غصنك مادامت فيه رطوبة، واذكر ساعتك التي ضاعت فكفى بها عِظة، ذهبتْ لذةُ الكسل فيها، وفاتت مراتب الفضائل[٤٠] .

وحاسب نفسك عند كل نظرة وكلمة وخطوة، فإنك مسؤول عن ذلك، وعلى قدر انتفاعك بالعلم ينتفع السامعون)[٤١] .

فالمسلم رقيب على نفسه يعاتبها ويحاسبها، ويحصي عليها أعمالها ليعرف الربح من الخسائر، **ومن فوائد هذه المحاسبة ما يلي :**

١. معرفة حق الله تعالى، وهل قام العبد به كما ينبغي ، وتدارك التقصير.
٢. الاطلاع على عيوب النفس ، ومعالجة أمراضها وآفاتها.
٣. كشف خداع النفس ووساوس الشيطان[٤٢] .

اللهم آتِ نفوسَنا تقواها، وزكِّها أنت خير من زكَّاها، أنت وَليِّها ومولاها .

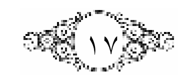
---

(٣٩) إغاثة اللهفان لابن القيم ١/ ٧٨ .

(٤٠) لفتة الكبد في نصيحة الولد - لابن الجوزي - ص/ ٥١.

(٤١) المرجع السابق - ص/ ٦٥ .

(٤٢) ينظر تفصيل الموضوع في كتاب (منهج الإسلام في تزكية النفس) للمؤلف - ص/ ٢٦٠ .





٨

بيتٌ في الجنَّة

روى مسلم عن أم حبيبة زوج النبي e أنها قالت : سمعت رسول الله e يقول:

((ما من عبدٍ مسلم يصلي لله كلَّ يومٍ ثنتي عشرة ركعةً تطوعاً غير الفريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة)) (٤٣)

التوجيهات :

سمعت أم حبيبة هذا الحديث من النبي e فقالت: (ما تركتُهنَّ منذ سمعتهن من رسول الله e)، وسمع هذا الحديث الشريف من أم حبيبة أخوها عَنْبسةُ بن أبي سفيان وهو من التابعين، فسُّر به كثيراً لما فيه من البشارة مع سهولته، وقال: (فما تركتهن منذ سمعتهن من أم حبيبة)، وكان كلما حدَّث به أحداً يفرح بتلك البشارة ويلتزم بالمحافظة على هذه السنن الراتبة، رجاء أن يكرمه الله U ببيت في الجنة، فيفوز فوزاً عظيماً، كما التزم كل راوٍ لهذا الحديث من بعده بالمحافظة على هذه السنن قائلاً: ما تركتهنَّ منذ سمعتهنَّ من شيخي فلان .

وهذه السنن هي: ركعتا الفجر، وأربع ركعات قبل الظهر، وركعتان بعد الظهر، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء .

ولا شك أن للمحافظة على النوافل والسنن أجراً عظيماً وفضلاً كبيراً، وهي سياج الفرائض، كما ورد في حديث أبي هريرة t قال: قال رسول الله e : **(إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاتهُ، فإن صَلَحَتْ فقد أفلحَ وأنجح، وإن فسدت فقد خابَ وخسر، فإن انتقَصَ من فريضته شيئاً قال الرب U : انظروا هل لعبدي من تطوُّع فيُكَمَّل بها ما انتقصَ من الفريضة ؟ ثم يكون سائر أعماله على هذا)**(٤٤) .

---

(٤٣) رواه مسلم – رقم/٧٢٨، والترمذي – رقم/٤١٥، والنسائي ٢٦١/٣، وابن ماجه –رقم/١١٤١، والإمام أحمد في مسنده ٣٢٧/٦

(٤٤) رواه الترمذي – رقم/ ٤١٣ وقال: حديث حسن غريب .





فما أحرانا أن نسارع إلى مرضاة الرحمن U ، ونتنافس في أبواب الخيرات التي ننال بها الأجر الكبير على العمل اليسير .

وما هو هذا الأجر ؟ إنه بيت في الجنة، في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر، فيها مالا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وشتان بين زخارف الدنيا وقصورها الفانية ، والنعيم الباقي في دار القرار وصحبة الأخيار ولذة النظر إلى العزيز الغفار {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } (٤٥) .

{ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ } (٤٦) .

(٤٥) سورة القيامة / آية ٢٢-٢٣ .

(٤٦) سورة التوبة / آية ٧٢ .





أعظم المصائب

عن ابن عمر t أن رسول الله e قال : ((**الذي تفوتُه صلاة العصر كأنما وُتِرَ أهلُهُ ومالُهُ**)) [٤٧] .

المفردات :

وُتِرَ أهلُهُ وماله : انتُزِع منه أهله وماله فبقي بلا أهل ولا مال .

التوجيهات :

هل هناك مصيبة أعظم من أن يفقد المرء أهله وماله في وقت واحد ؟!

أجل .. صلاةٌ واحدة يضيّعها العبد تهاوناً وتكاسلاً أعظم مصيبة وأشد ضرراً من فقدان المال والأبناء وكل ما في الدنيا، فليحذر العبد من تفويت هذه الصلاة كما يحذر من ذهاب أهله وماله .

قال بعض شُرَّاح الحديث : (الوَتْرُ : الجناية التي يطلب ثأرها ، فيجتمع عليه غمَّان ، غمُ المصيبة ، وغم مقاساة طلب الثأر) [٤٨] .

ولهذا يتوجَّب عليه الاسترجاع (أن يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون) عند تضييعه لصلاة واحدة، كما يفعل من فقد أهله وماله، فيحزن أشد الحزن، ويأسف لتفويته الصلاة.

وقد خُصَّت صلاة العصر بهذه الأهمية لأنها تأتي في وقت تعبِ الناس مِن مقاساةِ أعمالهم ، وتسويفهم بها حتى يؤخروها عن وقتها .

وفي حديث آخر عن بُريدة t أنه قال في يومٍ ذي غَيم: بكِّروا بصلاة العصر، فإن النبي e قال : (من

---

(٤٧) رواه مسلم – رقم/٦٢٦

(٤٨) شرح النووي على صحيح مسلم - ٥/١٢٥





ترك صلاة العصر فقد حَبِط عمله) [٤٩] .

ولهذا أمر الله سبحانه بالمحافظة على الصلوات ، وخص منها بالذكر صلاة العصر، وسماها الصلاة الوسطى ، فقال تعالى : { حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ } [٥٠]

وقد دعا النبي e على الكفار يوم الأحزاب فقال :

((ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً، شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس))[٥١] .

وما أبدع اجتماع الملائكة في صلاتي الفجر والعصر وثناءهم على المصلين .

عن أبي هريرة t أن رسول الله e قال: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، يجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم، وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون: تركناهم وهم يُصلُّون وأتيناهم وهم يصلون) [٥٢] .

وفي هذا تأكيد على اغتنام فضيلة إدراك هاتين الصلاتين في المسجد والمحافظة عليهما .

(٤٩) رواه البخاري- رقم/ ٥٢٨ .

(٥٠) سورة البقرة / ٢٣٨ .

(٥١) رواه البخاري – رقم/ ٢٧٧٣ .

(٥٢) رواه مسلم– رقم/ ٦٣٢ .





من آداب المساجد

عن أبي هريرة t قال : سمعت رسول الله e يقول : ((**إذا أُقيمت الصلاة فلا تأْتُوها تَسْعَوْن ، وأْتُوها تمشون ، وعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلُّوا وما فاتكم فأتموا**)).(٥٣)

المفردات :

تَسْعَون: السعي هو الجري بسرعة .

عليكم السكينة: ألزموا الهدوء والخشوع.

التوجيهات:

المساجد لها حرمتها وآدابها ، وفي رحابها يشعر المسلم بالسكينة والطمأنينة، ويقف بين يدي ربه U خاشعاً متضرعاً، يناجي مولاه سبحانه، ويغذِّي روحه، ويزكي نفسه .

ولكن بعض الناس فقدوا هذه المعاني السامية ، وتحولت صلاتهم إلى عمل آلي لا روح فيه، وإذا أقبل أحدهم إلى المسجد لم يستشعر حرمته ولم يلتزم بآدابه ، فتراه يركض ركضاً ليدرك الركعة مع الإمام ، ويُحدِث هو وأمثاله ضجة وصخباً مما يُشغل المصلين ويشوِّش عليهم .

قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه لهذا الحديث الشريف :

(فيه الندب الأكيد إلى إتيان الصلاة بسكينة ووقار، والنهي عن إتيانها سعياً، سواء فيه صلاة الجمعة وغيرها، سواء خاف فوات تكبيرة الإحرام أم لا.. والحكمة في إتيانها بسكينة والنهي عن السعي أن الذاهب إلى صلاةٍ عامدٌ في تحصيلها ومتوصِّل إليها ، فينبغي أن يكون متأدباً بآدابها ، وعلى أكمل الأحوال)(٥٤) .

(٥٣) رواه البخاري –رقم/٩٠٨، ومسلم – رقم/٦٠٢

(٥٤) شرح النووي على صحيح مسلم - ٥/٩٨ .



وقد ورد في رواية أخرى عن أبي قتادة t قال: (بينما نحن نصلِّي مع رسول الله e فسمع جَلَبَةً، فقال : ماشأنكم ؟ قالوا: استعجلنا إلى الصلاة، قال: فلا تفعلوا ، إذا أتيتم الصلاة فعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلُّوا وما سبقكم فأتموا) [٥٥] .

ولتسأل نفسك أخي الحبيب : ما الذي يدعوك إلى الإسراع لإدراك الصلاة ؟

إذا كنت تريد الأجر فالأجر حاصلُ لك وأنت في طريقك للصلاة .

ولهذا ورد في رواية أخرى للحديث قوله e :

((فإن أحدَكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاةٍ))[٥٦] .

فما أحرانا أن نتأدب بآداب المسجد، ونلتزم بهذا التوجيه النبوي؛ لنُقبل على صلاتنا بسكينة وخشوع .

(٥٥) رواه البخاري - رقم/٦٣٥، ومسلم – رقم/٦٠٣ .

(٥٦) رواه مسلم – رقم/٦٠٢ .





بر الوالدين

عن أبي الدرداء t قال : سمعت رسول الله e يقول : ((**الوالد أوسطُ أبوابِ الجنة ، فإن شئتَ فأضعْ ذلك البابَ أو احفظه**)) (٥٧)

المفردات :

أوسط : أي خير الأبواب وأعلاها .

احفظه : داومْ على تحصيله .

التوجيهات:

إنَّ أحسن ما يرجو به العبد دخول الجنة والوصول إلى درجتها العالية برُّ الوالد ومراعاة جانبه وحفظ حقوقه، وهذا ما أكده النبي e في حديث آخر عن عبد الله بن عمرو t قال: قال النبي e : (رضى الرب في رضى الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد) (٥٨).

وإذا كان حكمُ الوالد هكذا، فحكم الوالدة أقوى، وبالاعتبار أولى، ولهذا جاء رجل إلى الرسول e فقال: يا رسول الله من أحقُّ الناس بحسن صحابتي ؟

قال : (**أمك**) ثلاث مرات ، وفي المرة الرابعة قال : (**ثم أبوك**) (٥٩) .

---

(٥٧) رواه الترمذي – رقم/ ١٩٠٠ وقال : هذا حديث صحيح ، وابن ماجه – رقم/ ٢٠٨٩ وابن حبان رقم/ ٤٢٦ ، والحاكم ٣/ ١٩٧ وصححه ووافقه الذهبي .

(٥٨) رواه البخاري في الأدب المفرد – رقم/٢، والحاكم ٢/ ١٥١، وصححه ووافقه الذهبي .

(٥٩) رواه البخاري - رقم / ٥٦٢٦ ومسلم - رقم / ٢٥٤٨.





وقد نقل الحافظ ابن حجر عن ابن بطال قوله في شرح هذا الحديث:

(مقتضاه أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر، وذلك لصعوبة الحمل ثم الوضع ثم الرضاع، فهذا تنفرد به الأم وتشقى به، ثم تشارك الأب في التربية) [٦٠] .

كما حذَّر النبي من عقوق الوالدين فقال e : (**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر** ؟ قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : (**الإشراك بالله وعقوق الوالدين**) [٦١] .

وما أعظم خسارة من يكون له والدان كبيران فيهمل رعايتهما ويضيِّع حقوقهما، فيكون ذلك سبباً في حرمانه من الجنة والعياذ بالله تعالى .

فعن أبي هريرة t قال: قال رسول الله e: (**رَغِمَ أنفُ، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف**) قيل: مَن يا رسول الله ؟ قال: (**من أدرك أبويه عند الكِبَر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة**) [٦٢] .

ومعنى (رغم أنف) أي: التصق بالرُغام وهو التراب المختلط بالرمل، والمراد: الدعاء عليه بالذل والخزي والهوان .

ولهذا ينبغي على المربين التواصي بالبر والتذكير به، وتحذير الأبناء من العقوق، وتخويفهم من سوء الخاتمة في الدنيا، والعذاب الشديد في الآخرة .

---

(٦٠) فتح الباري شرح صحيح البخاري – ١٠ /٤١٦ .

(٦١) رواه البخاري - رقم / ٥٦٣١.

(٦٢) رواه مسلم رقم / ٢٥٥١ .





استغفار الابن لأبيه

عن أبي هريرة t عن النبي e قال: **((إن الرجل لتُرفع درجته في الجنة، فيقول: أَنَّى لي هذا ؟ فيقال : باستغفار ولدك لك))** (٦٣).

المفردات :

أَنَّى لي هذا : من أين لي هذه المنزلة .

التوجيهات:

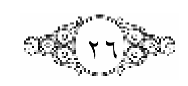
لا شك ـ أخي الحبيب ـ أنك تتمنى لوالديك كل خير في الدنيا والآخرة، وتحبهما محبة كبيرة، ولا ترضى أن يصاب أحدهما بالسوء أبداً .

وقد أكرمك ربك عز وجل بأن نشأت من أبوين مسلمين، سهرا على رعايتك حتى أصبحت شاباً، فعليك أن تحرص على برهما والإحسان إليهما .

وهذا ما أمرك به ربك U في قوله تعالى: { ۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا } (٦٤).

(٦٣) رواه ابن ماجه – رقم/ ٣٦٦٠، وقال في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات، ورواه البخاري في الأدب المفرد رقم/٣٦ ، ورواه الإمام أحمد ٢/٥٠٩، وابن أبي شيبة في المصنف ١٢/٤٤، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم/١٥٩٨-٤/١٢٩ .

(٦٤) سورة الإسراء / الآيتان ٢٣-٢٤ .





ومن أعظم مجالات البر بالوالدين الدعاء لهما في حياتهما وبعد مماتهما، وهذا ما ورد الحض عليه في توجيهات النبي e :

عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله e : (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم يُنتفع به أو ولد صالح يدعو له) [٦٥].

وفي هذا الحديث النبوي حثٌ للأبناء على الإكثار من الدعاء لآبائهم، مع أن الله عز وجل يثيب الأبوين على ما يفعله الأبناء من أعمال صالحة لأنهما سبب في تربيتهم على الصلاح، فإذا توجَّه الأبناء بالدعاء والاستغفار لوالديهم ازداد الثواب والأجر، كما أن غارس الشجرة يكون له أجر من يأكل منها وإن لم يدعُ له، فإذا دعا له ازداد الأجر بفضل الله U [٦٦].

وتأمل قوله تعالى: { جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ } [٦٧].

قال الإمام ابن كثير : (أي : يجمع بينهم وبين أحبابهم فيها من الآباء والأهليين والأبناء ، ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين ، لتقر أعينهم بهم ، حتى إنه تُرفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى ، امتناناً من الله وإحساناً ، من غير تنقيصٍ للأعلى عن درجته ، كما قال الله تعالى : { وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ }) [٦٨] .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته، وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه، ثم قرأ : { وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ } [٦٩]، ثم قال: وما نَقَصنا الآباء بما أعطينا البنين) [٧٠].

---

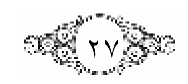
(٦٥) رواه مسلم – رقم/١٦٣١.

(٦٦) فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد – للجيلاني – ١/ ١١٤ .

(٦٧) سورة الرعد ٢٣ – ٢٤ .

(٦٨) تفسير ابن كثير ٢/ ٥١٠ .

(٦٩) سورة الطور / آية: ٢١ .





وهكذا يحظى من اتصف بالصفات الحميدة بخيري الدنيا والآخرة، وعقبى الدار بسعادة الدنيا وفلاح الآخرة، فهو في الدنيا قرير العين بأسرته من آبائه وأبنائه وزوجته وأقربائه، الذين ترتاح إليهم القلوب، وكلما ازداد براً وصلة وإحساناً لهم ازداد قرباً من المولى عز وجل، وأكرمه الله عز وجل بثمرات هذه الطاعة مودةً يجد ثمراتها في قلبه الذي ينبض بالحنان والحب الصادق لآبائه وأبنائه .

(٧٠) أخرجه البزار – ص/ ٢٢١، والحاكم ٢/ ٤٦٨، والبغوي في التفسير ٨/ ٨٢، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٥/ ٦٤٧ ، رقم/ ٢٤٩٠ حيث بيّن رحمه الله أن هذا الحديث روي مرفوعاً إلى النبي e كما روي موقوفاً على ابن عباس، ورجَّح أنه موقوف ولكنه في حكم المرفوع، لأنه لايقال بمجرد الرأي، بل هو ظاهر الآية المذكورة .





٣

موقف الحساب العسير

عن معاذ بن جبل t أن رسول الله e قال : ((**لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ؟ وعن شبابه فيما أبلاه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ؟ وعن عِلمه ماذا عمل فيه ؟**)) (٧١) .

وفي رواية للترمذي (**وعن جسمه فيما أبلاه**)

المفردات :

أفناه : أي صرفه .

أبلاه : ضيَّعَهُ .

التوجيهات:

أسئلة مهمة ينبغي عليك تحضير الإجابة لكلٍ منها ، ولن تستطيع التحايل أو التخلص أو الخداع ، فالموقف عسير والناقد بصير، وأعضاء الإنسان شاهدة عليه، { حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ } (٧٢) .

فسارع إلى اغتنام الأعمار والأوقات والأموال في طاعة الله سبحانه ، واحذر من تسخيرها في المعاصي والآثام .

ويتضمن هذا الحديث النبوي سؤالين عن الوقت، وهما: السؤال عن عمر الإنسان وعن شبابه،

(٧١) رواه البزار - رقم / ٣٤٣٧ والطبراني بإسناد صحيح، واللفظ له، ورواه الترمذي – رقم / ٢٤١٧، وقال : حديث حسن صحيح .

(٧٢) سورة فصلت / ٢٠-٢١.





والشباب جزء من العمر، بل هو الجزء الحيوي منه حيث تتوفر الصحة والقوة والنشاط والعزيمة، والواقع بين حالتين من حالات ضعف الإنسان كما قال الله U : { ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ } (٧٣).

وهذا الجسم وما فيه من أعضاء ومفاصل وجوارح نعمةٌ عظمى، وهو في بداية عمر الإنسان كالثوب الجديد فإذا كَبُر بدأ يضعف ويبلى، فاغتنم قوة جسمك ونشاطه قبل أن يحلَّ به الضعف والشيخوخة فيصبح كالثوب البالي.

ولتعلم أن موقف الحساب يوم القيامة من المواقف العصيبة التي تشتد فيها الكُربات، وتكثر فيها الحسرات، فلتكن مستعداً لتنجو من هذا الموقف العسير، وتفوز بالرضوان وتظفر بالجنان .

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله e : (من نوقش الحساب عَذِّب) ، فقالت : أليس قد قال الله U : { فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا } (٧٤) ، فقال : ليس ذاك الحساب ، وإنما ذاك العرض ، ومن نوقش الحساب يوم القيامة عُذِّب) (٧٥) .

فاحذر أن تكون مضيعاً لحقوق الله U فتقف يوم القيامة لتُسأل عن كل صغيرة وكبيرة .

فلو أنا إذا مُتنا تُركنا	لكان الموتُ راحة كل حي
ولكنا إذا مُتنا بُعثنا	ونُسأل بعدها عن كل شيء

واحرص على اغتنام أوقات شبابك وعمرك في طاعة الله، فالعبد يُسأل عن عمره وعن شبابه بشكل خاص ، وما أسوأ من يقتل زهرة شبابه في الضياع والتفريط والانغماس في المحرمات ، أو هدر الأوقات بدون فائدة ولا هدف ، فإن أعظم المقت ضياعُ الوقت ، ولا يمكن لأمة أن تنهض إلا إذا عرف أبناؤها أن لهم رسالة وهدفاً يسعون لتحصيله ، ويبذلون من أجله أعمارهم وأوقاتهم وأموالهم .

---

(٧٣) سورة الروم / آية: ٥٤ .

(٧٤) سورة الانشقاق / آية: ٨ .

(٧٥) رواه البخاري – رقم / ٤٩٣٩، ومسلم – رقم/ ٢٨٧٦ .





السؤال عن النعيم

عن أبي هريرة t قال : قال رسول الله e : ((**إنَّ أولَ ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم أن يُقال له : ألم نُصِحَّ لك جسمك ، ونُرْوِيَك من الماء البارد ؟))** [٧٦] .

المفردات :

نُصِحَّ : (بكسر الصاد وتشديد الحاء) أي: نمنحك صحة الجسد .

التوجيهات :

هناك كثير من النعم لا يستشعر الإنسان قيمتها إلا عند فقدانها ، فإذا كانت متوفرة لديه لم يبال بها ، ولم يبادر إلى تحقيق شكرها: لأنه بحكم تعوده عليها لم يعد لها تلك القيمة عنده ، فإذا فقدها أحسَّ بقيمتها ، وبحث عنها ، وتمنى عودتها.

ومن أهم هذه النعم صحة الأبدان، فهي تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى، الذين يتحسرون على أيام الصحة ويندمون على تفريطهم فيها، وتهاونهم في شأنها، وقد قال e: (**نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ**) [٧٧] فمن فرَّط في صحته وأوقات فراغه فهو المغبون (أي: الخاسر).

والعبد الموفق هو الذي يغتنم أوقات صحته ونشاطه وفراغه في الإقبال على الطاعات، ليكون على أتم الاستعداد ليوم الحساب، عندما يُسأل عن جسمه فيما أبلاه .

---

(٧٦) رواه الترمذي - رقم/ ٣٣٥٨ ، والحاكم ٤/ ١٣٨ ، وصححه وأقره الذهبي، وصححه السيوطي في الجامع (فيض القدير ٢/ ٤٤٣) ، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم/ ٥٣٩ .

(٧٧) رواه البخاري - رقم / ٦٥٤٩ .





وقد أخبر الله سبحانه بأن العبد سيُسأل يوم القيامة عن شكر ما أنعم به عليه من النعم، فقال تعالى: س { ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ } [٧٨].

ومن جملة النعم شرب الماء البارد، وهو أمر معتاد يتناوله الإنسان كلما أراد، دون مانع أو صعوبة، ولهذا لا يستشعر قيمته، ولكنه إذا مُنع منه في يومٍ شديد الحر واشتد عطشه بحثَ عنه بلهفة ، وأدرك تلك اللحظة قيمته العظيمة وأهميته الكبيرة، ومهما أُعطي من الأطعمة والأشربة ليستغني عنه فإنه سيزداد له طلباً .

وإذا كانت نعمة الماء البارد بهذه الأهمية، فإن الأعظم منها للمؤمن أن يتشرَّب قلبُه حلاوة الإيمان، ويكون الله ورسوله أحبَّ إليه من الماء البارد على الظمأ .

وفي ذلك يقول الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى :

(إذا ذاق العبد حلاوة الإيمان ووجد طعمهُ وحلاوته، ظهر ثمرةُ ذلك على لسانه وجوارحه، فاستحلى اللسان ذكر الله وما والاه، وسارعت الجوارح إلى طاعة الله، فحينئذ يدخل حب الإيمان في القلب كما يدخل حب الماء الباردِ الشديدِ بردُه ، في اليوم الشديدِ حرُّه ، للظمآن الشديد عطشُه) [٧٩] .

ومن فضل الله U أنه يعطي للعبد الشاكر على النعمة نفس المنزلة التي ينالها الصابر على فقدان هذه النعمة ، ومصداق ذلك حديث أبي هريرة t أن رسول الله e قال : (الطاعمُ الشاكر بمنزلة الصائم الصابر) [٨٠] .

فما أعظم نعم الله U على عباده، وما أحوجهم لشكرها وبذل الجهد في آداء حقوق الله U فيها ، مع الاعتراف بالتقصير تجاه المنعم الكريم سبحانه، الذي أغدق علينا نِعماً كثيرة لا تعدُّ ولا تحصى: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ } [٨١].

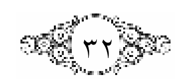
---

(٧٨) سورة التكاثر / آية ٨ .

(٧٩) لطائف المعارف – ص/٢٥٣ .

(٨٠) رواه الترمذي - رقم / ٢٤٨٨ وحسَّنه ، وابن ماجه - رقم / ١٧٦٩ ، والإمام أحمد ٢ / ٢٨٣ .

(٨١) سورة إبراهيم/ آية ٣٤ .



يقول الإمام ابن رجب رحمه الله :

(من طُولبَ بالشكر على كل نعمة من عافيةٍ وصحةٍ وجسمٍ وسلامةِ حواسٍ وطيبِ عيش، واستُقصيَ ذلك عليه، لم تقف أعماله كلها بشكر بعض هذه النعم) (٨٢).

ويقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله :

(كلما نظرتُ في تواصلِ النِعم عليَّ تحيَّرتُ في شكرها، وأعلمُ أن الشكر من النعم فكيف أشكر ؟ لكنني معترف بالتقصير، وأرجو أن يكون اعترافي قائماً ببعض الحقوق) (٨٣).

وإذا وفقك الله لشكر النعم فهذا التوفيق نعمة لا بد لها من شكر، فليكنْ لسانك رطباً بذكر الله U وشكره، والثناء عليه بما هو أهله، ولتكن جوارحك وأعضاؤك مسخرة لطاعته ومرضاته .

إذا كان شكري نعمة الله نعمةً ... عليَّ له في مثلها يجب الشكر

فكيف وقوع الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتصل العمر (٨٤)

---

(٨٢) المحجَّة في سير الدُّلجة – للإمام ابن رجب الحنبلي – ص/٣٦ .

(٨٣) صيد الخاطر – لابن الجوزي – ص/ ٣٦٥ .

(٨٤) نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي e لابن عباس – لابن رجب الحنبلي - ص/١٢٦ .



٤

غنى النفس

عن أبي هريرة t قال : قال رسول الله e : ((**ليس الغنى عن كثرة العَرَض، ولكن الغنى غنى النفس**)) [٨٥] .

المفرادت :

ليس الغنى : أي الغنى الحقيقي النافع .

العَرَض: (بفتح العين والراء) المال ومتاع الدنيا .

التوجيهات:

هناك نوعان من الغنى، أحدهما: معرَّض للزوال لأنه غير ثابت ولا باقٍ، والساعي إليه يزداد طمعاً ، وهو الغنى بكثرة الأموال.

والثاني : غنى تترسخ قواعده في نفس المؤمن فتقنع وتطمئن ، وهو غنى النفس ، وهذا هو الغنى الحقيقي الذي يحظى به أهل الإيمان، فيكون سبباً لسعادتهم في الدنيا والآخرة .

وإذا نظرتَ إلى كثير ممن وسَّع الله عليهم في المال رأيتهم يطلبون المزيد ويشقون لتحصيله، ولا يقتنع أحدهم بما رزقه ربه U ، وإنما يلحُ في الطلب ويبخل في الإنفاق، ويجمع المال دون الحرص على الكسب الحلال ، ويعتدي على الآخرين لينال مزيداً من الأموال، تحقيقاً لأطماعه وجشعه الذي لا ينتهي عند حد ، فكيف يكون مثل هذا غنياً وهو يرى نفسه مفتقرةً للمزيد !!

وأما غنى النفس فهو الغنى النافع الذي يحظى به أهل الإيمان ، سواء كانت لديهم أموال كثيرة أو قليلة ، فالمال في يد المؤمن وسيلة لا غاية ، فإذا أنعم الله عليه بكثرة المال سخَّره في طاعة الله U ، وبادر إلى شكر المنعم سبحانه ، وإذا كان فقيراً قنع بما رزقه الله وأعطاه ، ولم يقلق أو يحسد غيره ، أو يتحسر على ما فاته .

---

(٨٥) رواه البخاري – رقم/ ٦٤٤٦ ، ومسلم – رقم/ ١٠٥١ .



فأيها أكثر غنى ؟ من يُشقي نفسه لطلب المزيد ويبقى دائم الحسرات والاضطراب ؟ أم الذي يرضى بما قسم الله U له ويحمده على نعمه فيحظى بالبركة والرضوان ؟

ولهذا أوصى النبي e أبا هريرة t فقال له: (وارضَ بما قسم الله لكَ تكن أغنى الناس) (٨٦).

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله :(رأيت سبب الهموم والغموم الإعراض عن الله U والإقبال على الدنيا، وكلما فات منها شيء وقع الغمُّ لفواته .

فأما من رُزق معرفة الله تعالى استراح، لأنه يستغني بالرضا بالقضاء، فمهما قُدِّر له رضي ... وأما من لم يُرزق ذلك فإنه لا يزال في تنغيصٍ متكدِر العيش، لأن الذي يطلبه من الدنيا لا يقدر عليه، فيبقى أبداً في الحسرات، مع مايفوته من الآخرة) (٨٧).

ويقول الإمام ابن حجر العسقلاني:

(إذا استغنت النفس كفَّت عن المطامع، فعزَّت وعظُمت، وحصل لها من الشرف والمدح أكثر من الغنى الذي يناله من يكون فقير النفس لحرصه، فإنه يورِّطه في رذائل الأمور وخسائس الأفعال، لدناءة همته وبخله ... والمتصف بفقر النفس لا يقنع بما أعطي، بل هو أبداً في طلب الازدياد من أي وجهٍ أمكنه، ثم إذا فاته المطلوب حزن وأسِف، فكان فقيراً من المال، لأنه لم يستغنِ بما أُعطي) (٨٨).

وما أبدع قول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :

عزيزُ النفسِ مَنْ لزِمَ القَناعةْ	ولم يكشف لمخلوقٍ قِناعةْ
أفادتني القناعة كل عزٍ	وأيُ غنىً أعز من القناعةْ
فصيِّرها لنفسك رأسَ مالٍ	وصيِّرها مع التقوى بضاعة(٨٩)

فاحمد لله ـ أخي المسلم ـ على ما أعطاك، واشكره ليزيدك من فضله، واقنع بما قسم الله لك تكن أغنى الناس .

---

(٨٦) جزء من حديث رواه الترمذي – ٢/ ٥٠، والإمام أحمد ٢/ ٣١٠، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم/ ٩٣٠ .

(٨٧) صيد الخاطر – لابن الجوزي – ص/ ٢٩٦ .

(٨٨) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - ١١/ ٢٧٢ باختصار وتصرف يسير .

(٨٩) كشف الخفاء – للعلجوني – ٢/ ١٠٢ .



كظم الغيظ

عن معاذ بن أنس t أن النبي e قال : ((**مَنْ كَظَم غيظاً وهو قادرٌ على أن يُنْفِذه دعاه الله سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يُخَيِّرهُ من الحور العين ما شاء**)) [٩٠] .

المفردات :

كظم غيظاً : أي كفَّ عن إمضائه، وأخفى ما في نفسه من شدة الغضب .

أن يُنفذه : من التنفيذ ، أي يقدر على إظهاره دون مانع أو خوف من أحد، ولكنه صبر طلباً لمرضاة الله U .

دعاه الله على رؤوس الخلائق : أي شَهَرهُ بين الناس ، وأثنى عليه .

التوجيهات :

إنما حُمد كظم الغيظ وضبط النفس عند الغضب لأنه قهرٌ للنفس الأمارة بالسوء ، ولذلك مدح الله تعالى الكاظمين الغيظ بقوله: { وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ } [٩١].

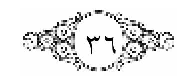
وكثيراً ما يؤدي الغضب بالإنسان إلى تجاوز الحد والانفعال المذموم، وتأجج الأحقاد والعداوات، وانطلاق اللسان بالشتم الفاحش مما يندم عليه المرء، ويستحي منه بعد سكون غضبه، ولهذا بيَّن الرسول e أن قوة النفس ليست بالبطش وإنما هي بالتحكّم بها والأخذ بزمامها :

روى الشيخان عن أبي هريرة t أن رسول الله e قال : (**ليس الشديد بالصُّرَعة، إنما الشديد الذي يملكُ نفسه عند الغضب**)[٩٢]

(٩٠) رواه أبو داود – رقم/ ٤٧٧٧ والترمذي – رقم/ ٢٠٢٢ وقال : حديث حسن .

(٩١) آل عمران /آية ١٢٤ .

(٩٢) رواه البخاري – رقم/ ٥٧٦٣، ومسلم – رقم/ ٢٦٠٩، والصرعة : هو الذي يصرع الناس ويغلبهم.





ولاشك أن الغضب إذا اشتد كان كالبركان المدمِّر والسيل الجارف، والواجب على المسلم أن يتحكم بنفسه ويكظم غيظه .

ولهذا قال الإمام ابن القيم رحمه الله : (أوثِقْ غضبك بسلسلة الحِلم، فإنه كلبٌ إذا أفلتَ أتلف)[٩٣] .

وما أبدع هذه البشارة النبوية لمن يكظم غيظه - مع قدرته وتمكنه - بأن يكرمه الله بالجنة ونعيمها، ويدعوه أمام الخلائق ليخَيِّرَهُ بما شاء من الحور العين، وهنَّ نساء أهل الجنة الذين وصفهم الله U بقولـه : { وَحُورٌ عِينٌ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ }[٩٤]

فلتسارع ـ أخي المسلم ـ إلى كظم الغيظ، والتحلي بالصبر والحلم، والبعد عن شدة الغضب؛ لتأمن عذاب الله يوم القيامة .

وقد جاء في الحديث عن أنس بن مالك t قال : قال رسول الله e : (**من كفَّ غضبه كفَّ الله عنه عذابه**)[٩٥]

---

(٩٣) الفوائد – ص/ ٥١

(٩٤) سورة الواقعة /الآيات ٢٢-٢٤ .

(٩٥) رواه أبو يعلى في مسنده ٣/ ١٠٧١ – وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم/ ٢٣٦٠ .





٦

صلاة الضحى

عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي e أنه قال :

((يصبح على كل سُلامى من أحدكم صدقة ، فكلُّ تسبيحة صدقة، وكلُّ تحميدةٍ صدقة، وكل تهليلةٍ صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمرٌ بالمعروف صدقة، ونهيٌ عن المنكر صدقة، ويجزئُ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى)) (٩٦)

المفردات :

السُلامَى: (بضم السين وتخفيف اللام): العضو، وجمعه سُلامَيات(٩٧) ، وأصله عظام الأصابع وسائر الكف، ثم استعمل في جميع عظام البدن ومفاصله (٩٨) .

تهليلةٍ: قول لا إله إلا الله .

يجزئ : يكفي .

التوجيهات :

في هذا الحديث الشريف تأكيد على أهمية شكر الخالق المنعم سبحانه وتعالى، الذي خلق الإنسان بهذه الصورة البديعة، وزوَّده بهذه المفاصل التي تمكِّنه من الحركة، ولا يمكن الاستغناء عن واحد منها أبداً، وقد بيَّن الرسول e في حديث آخر أن الإنسان خُلق على ثلاثمائة وستين مفصلاً، وكلٌ منها يتطلب شكراً

(٩٦) رواه مسلم – رقم / ٧٢٠ .

(٩٧) الأذكار – للنووي – ص/ ٥٠ .

(٩٨) شرح النووي على صحيح مسلم – ص ٥/ ٢٣٣ .



لله الخالق المبدع سبحانه وهذه الصدقة تدفع البلاء والآفات التي تتعرض لها المفاصل والأعضاء(٩٩)، وأداء الشكر عن كل مفصل له مجالات كثيرة ، ومن بينها التحميد والتهليل والتكبير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله e قال: (إنه خُلق كلُ إنسان من بني آدم على ستينَ وثلاثمائة مفْصِل، فمن كبَّر الله، وحَمِد الله، وهلَّل الله، وسبَّح الله، واستغفر الله، وعزلَ حجراً عن طريق الناس، أو شوكةً أو عظماً عن طريق الناس، وأَمَر بمعروف أو نهى عن منكر، عَدَدَ تلك الستينَ والثلاثمائةِ السُّلامى، فإنه يمشي يومئذٍ وقد زَحْزَح نفسه عن النار) (١٠٠).

ومن رحمة الله بعباده أنه جعل ركعتي الضحى تجزئ عن تلك النوافل، وتجبر النقص عن أداء شكر تلك النعم، وفي هذا دليل على عظيم فضل صلاة الضحى، والترغيب في المداومة عليها .

قال الإمام أبو العباس القرطبي رحمه الله :

قوله e : (ويجزئ من ذلك ركعتان) أي: يكفي من هذه الصدقات عن هذه الأعضاء ركعتان، فإن الصلاة عَملٌ لجميع أعضاء الجسد، فإذا صلى فقد قام كلُ عضو بوظيفته) (١٠١).

ولهذا كان النبي e يوصي أصحابه بالمحافظة على صلاة الضحى، وممن أوصاه بذلك الصحابيان أبو هريرة وأبو الدرداء رضي الله عنهما .

عن أبي هريرة t قال: (أوصاني خليلي e بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أرقد) (١٠٢).

---

(٩٩) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين – لابن علان - ١/ ٣٤٤ .

(١٠٠) رواه مسلم – رقم / ١٠٠٧ .

(١٠١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - لأبي العباس القرطبي ٢/ ٣٦١ .

(١٠٢) رواه البخاري - رقم/ ١١٨٧، ومسلم –رقم/ ٧٢١، وأبو داود – رقم/ ١٤٣٢، والترمذي – رقم/ ٧٦٠، والنسائي ٣/ ٢٢٩ .





وفي رواية : (أوصاني خليلي بثلاث لستُ بتارِكهنَّ: أن لا أنام إلا على وتر، وأن لا أدع ركعتي الضحى فإنها صلاة الأوابين، وصيام ثلاث أيام من كل شهر) [١٠٣].

وعن أبي الدرداء t قال : (أوصاني حبيبي e بثلاثٍ لن أدعهُنَّ ما عشتُ: بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، وأن لا أنام إلا على وتر) [١٠٤].

فما أبدع هذه التوجيهات النبوية، وما أحرانا أن نتمسك بها ونحرص عليها.

(١٠٣) رواه ابن خزيمة في صحيحه ٢/ ٢٢٧ .

(١٠٤) رواه مسلم /٧٢٢، وأبو داود – رقم/ ١٤٣٣ ، والنسائي ٣/ ٢٢٩ .





الكذب في المزاح

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده t قال: سمعت رسول الله e يقول:((**ويلٌ للَّذي يُحدِّث بالحديث ليُضحك به القوم فيكذب، ويلٌ له ويلٌ له**)) [١٠٥].

المفردات :

الويل : شدة العذاب والهلاك العظيم ، وقيل : هو اسم وادٍ في جهنم .

التوجيهات :

في هذا التوجيه النبوي تحذير شديد من الكذب ولو على سبيل المزاح ، فالرسول e كان يمزح ولا يقول إلا حقاً ، ولم يكن يُفْرِط في المزاح ، فليس من شأن المسلم أن يتخذ المزاح عادة له ليُضحك الناس في مجالسهم ، لأن كثرة المزاح سرعان ما يؤدي إلى الكذب فيه، والخروج عن الأدب والحشمة، وهذا لا يليق بالمسلم عموماً، فكيف إذا كان من طلاب العلم الشرعي وحفظةِ كتاب الله U .

وتأمل قول الله سبحانه : { إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ }[١٠٦] .

وقول النبي e : (إن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً) [١٠٧].

وإذا اتصف الإنسان بالكذب نُسبت إليه شوارد الكذب وإن لم يقُلها، ولهذا قال الشاعر :

---

(١٠٥) رواه الترمذي – رقم / ٢٣١٦ ، وقال حديث حسن ، ورواه أبو داود – رقم / ٤٩٩٠ .

(١٠٦) سورة النحل / آية ١٠٥

(١٠٧) رواه البخاري – رقم/٥٧٤٣، ومسلم- رقم/٢٦٠٧ .





حسبُ الكذوب من البليَّة ... بعض ما يُحكى عليه

فإذا سمعتَ بكذبةٍ ... من غيره نُسبتْ إليه

والسبب في ذلك أنه عُرف بين الناس بهذه الصفة الذميمة، فلم يعدْ موضع ثقة بينهم، حتى جعلوه مصدراً لكل ما يُشاع من أكاذيب .

فالكذب آفة كبيرة، والكذوب منبوذ بين الناس، يُنظر إليه بالشك والريبة، ويحذر الناس مجالسته والتعامل معه، وتبتعد عنه الملائكة الأبرار.

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي e قال: (إذا كذب العبد تباعَدَ المَلَك عنه ميلاً من نَتنِ ما جاء به) (١٠٨).

فاحرص على التزام الصدق في جميع أقوالك، واحذر من التساهل في ذلك، ولو على سبيل المزاح والمداعبة والفكاهة .

وتأمل البشارة النبوية العظيمة لمن ترك الكذب، وتحلَّى بالصدق:

عن أبي أمامة t أن النبي e قال: (أنا زعيمٌ ببيتٍ في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً) (١٠٩) والزعيم: الضامن .

وقد يتساهل أحدنا في الكذب في بعض الأمور اليسيرة، كأن يُدعى إلى طعام فيقول: إنه لا يشتهي ولا يرغب، مع أنه يشتهيه، ظناً منه أن هذا من باب اللباقة والأدب .

عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنهما قالت: قلت: يا رسول الله، إنْ قالت إحدانا لشيء تشتهيه: لا أشتهيه، يعدُّ ذلك كذباً ؟.

قال e : إن الكذب يُكتب كذباً، حتى تُكتب الكُذيبة كُذَيْبة) (١١٠).

---

(١٠٨) رواه الترمذي –رقم/١٩٧٢ وقال: حديث حسن .

(١٠٩) رواه أبو داود- رقم/ ٤٨٠٠، والترمذي –رقم/١٩٩٣ وحسَّنه، والبيهقي في "شعب الإيمان" رقم/٨٠١٧ بإسناد حسن، وصححه النووي في "رياض الصالحين" -رقم/ ٦٣٠ .

(١١٠) رواه الإمام أحمد ٦/٤٣٨، ٤٥٢، والبيهقي في "الشُعب" –رقم/٤٨٢١ .





ومن بدائع التوجيهات النبوية الحرص على صدق التعامل مع الأطفال لتعويدهم على ذلك، وتربيتهم على هذه الأخلاق الحميدة .

عن عبد الله بن عامر t قال: دعتني أمي يوماً، ورسول الله e قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أُعطك، فقال لها رسول الله e: (ما أردتِ أن تعطِيَهُ ؟)

فقالت: أردتُ أن أعطيه تمراً

قال لها رسول الله e : (أما إنك لو لم تُعطِهِ شيئاً كُتبتْ عليك كَذبةٌ) [111].

فاحرص على التزام الصدق في جميع شؤون حياتك لتكون من الفائزين .

---

(111) رواه أبو داود – رقم/ ٤٩٩١، والإمام أحمد ٣ / ٤٤٧ ، والبيهقي في "الشعب" – رقم/ ٤٨٢٢ .





التحذير من إيذاء الصالحين

عن جندب بن عبد الله t قال: قال رسول الله e :

((من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلبنَّكم الله من ذمته بشيء، فإنه مَنْ يطلبه من ذمته بشيء يُدركْهُ، ثم يَكُبُّه على وجهه في النار)) [١١٢] .

المفردات :

من صلى الصبح : أي في جماعة .

ذمة الله: ضمانه وأمانه .

لا يطلبنكم الله من ذمته بشيء: لا تتعرضوا له .

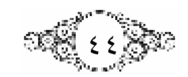
يكبه في النار: يقلبه فيها على وجهه .

التوجيهات:

ما أبدع أن يكون المؤمن في حفظ الله وجواره وأمانه، بعد أن أدى الصبح في المسجد وكانت خطواته الأولى فجر يومه التوجُّه إلى المسجد لمناجاة ربه مع إخوانه المصلين من أهل الحي، والوقوف صفوفاً متراصة بين يدي مولاهم U .

وفي هذا الحديث بشارة لمن أدى الصبح في جماعة أنه في ذمة الله وأمانه وجواره – أي: قد استجار بالله تعالى ، والله قد أجاره ، فلا ينبغي لأحد أن يتعرض له بضرٍ أو أذى ، فمن فعل ذلك فالله يطلبُ بحقه، ومن يطلبه لم يجْد مفراً ولا ملجأً ولا مهرباً، وهذا وعيد شديد لمن يتعرض للمصلين، وترغيبٌ في حضور

(١١٢) رواه مسلم - رقم / ٦٥٧، والترمذي رقم/ ٢٢٢، والإمام أحمد في مسنده ٤ /٣١٣ .





صلاة الصبح جماعة [113].

وقد أوصى النبي e ابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بوصايا جامعة فكان مما قال له: (احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ...) [114].

فمن حفظ حدود الله وحقوقه وأوامره ونواهيه حفظه الله U في دنياه وآخرته، وجعل له من كل ضيق مخرجاً، وكان من عباده الصالحين المستحقين للبشارة في قوله تعالى: { أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ }[115].

وإذا تعَّرض أحد بالسوء والأذى لهؤلاء الصالحين فقد أعلن الحرب على الله U واستحق غضب الجبار سبحانه، ولهذا جاء في الحديث القدسي عن أبي هريرة t قال : قال رسول الله e : (إن الله تبارك وتعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) [116].

أي: أعلمته بالحرب عليه، وهو كناية عن الهلاك .

---

(١١٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم – ٢/ ٢٨٢، دليل الفالحين ٢/ ٢٧٣ .

(١١٤) رواه الترمذي – رقم/ ٢٥١٦ وقال: حديث حسن صحيح، ورواه الإمام أحمد في مسنده – ١/ ٣٠٧ .

(١١٥) سورة يونس /الآيات ٦٢-٦٤ .

(١١٦) رواه البخاري – كتاب الرقاق "باب التواضع" – رقم /٦٥٠٢ .





التحذير من ظلم المسلم

عن أبي هريرة t ، قال : قال رسول الله e :

((من كانت له مَظلَمةٌ لأحدٍ من عِرضه أو شيء ، فليتحلَّلْهُ منه اليوم، قبلَ أن لا يكون دينارٌ ولا درهم ، إنْ كان له عملٌ صالح أُخذ منه بقدرِ مَظلمته، وإن لم تكن له حسناتٌ أُخذ من سيئات صاحبه ، فحُملَ عليه)) (١١٧) .

المفردات:

مَظلمةٌ : أي: ظَلَم أحداً بقولٍ أو فعل .

عِرضه : العِرض موضع المدح والذم من الإنسان .

فليتحلَّله منه : يطلب منه العفو والمسامحة .

التوجيهات:

تأمل ـ أخي المسلم ـ هذا المشهد المفزع يوم القيامة حيث يُقتَصُّ من الظالم بالأخذ من حسناته بمقدار ظلمه للناس ، فإن فنيت حسناته أو لم تكن له حسنات أُخذ من سيئات المظلومين ، فطُرحت عليه ، ثم طُرح في النار .

وفي هذا تحذير من ظلم المسلم لأخيه المسلم، بأخذ شيء من ماله، أو سبِّه وشتمه وإيذائه ، وتنبيهٌ إلى ضرورة المسارعة لطلب السماح من هذا المظلوم بشتى الوسائل ولو بالمال، قبل أن يفقد المال قيمته في الدار الآخرة ، وتصبح الحسنات هي العملة النافعة التي تُرَدُّ بها المظالم .

فهل ترضى أن تقف يوم القيامة هذا الموقف العسير وأنت من أهل القرآن وطلبة العلم الشرعي ؟

---

(١١٧) رواه البخاري، رقم ٢٣١٧ في المظالم ، وفي الرقاق رقم / ٦١٦٩ " باب القصاص يوم القيامة " .





وكيف تتهاون في هذا الأمر الخطير وأنت موضع القدوة بين الناس ؟

فعليك أن تسعى لنفع إخوانك وإرشادهم إلى ما يصلحهم في الدنيا والآخرة، وأن تحب لأخيك المسلم ما تحبه لنفسك.

ولقد حذر النبي e من الظلم وبيَّن عاقبته في الدار الآخرة، فقال e: (**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**) [١١٨] ، فهو ظلمات على صاحبه يوم القيامة، كما أنه يورث الظلمة في قلبه والشقاء في حياته .

وعن أبي ذر t عن النبي e فيما رَوى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : (**يا عبادي إني حرَّمت الظلم على نفسي ، وجعلتُه بينكم محرماً ، فلا تَظَالموا**) [١١٩] أي : لا يظلم بعضكم بعضاً .

وعن أبي موسى الأشعري t قال : قال رسول الله e : (**إنَّ الله ليملي للظالم حتَّى إذا أَخَذه لم يُفْلِته** ، ثم قرأ : { وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ } [١٢٠]) [١٢١] .

فالظالم الذي لا ينتهي عن ظلمه ويتمادى فيه ، ولا يجد من يردعه عاجلاً فيغتر بقوته ، سرعان ما تقع به عقوبة الله U الذي يمهله حتى إذا أخذه بالعقوبة كان الهلاك الشديد والنهاية المريرة .

---

(١١٨) رواه مسلم - رقم / ٢٥٧٨

(١١٩) رواه مسلم - رقم/ ٢٥٧٧ .

(١٢٠) سورة هود / ١٠٢

(١٢١) رواه البخاري - رقم / ٤٤٠٩ ، ومسلم - رقم / ٢٥٨٣





الظالم والمظلوم

عن أنس t قال: قال رسول الله e :

((**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**)) فقال رجل: يا رسول الله أنصرُه إذا كان مظلوماً، أَفرَأَيْتَ إذا كان ظالماً كيف أنصره ؟

قال: ((**تحجزه أو تمنعه من الظلم فإنَّ ذلك نصرُه**)) [١٢٢]

المفردات :

أرأيتَ : أخبرني

التوجيهات:

المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحُمَّى والسهر، والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، ولو التزم المسلمون بذلك لسَعِدت أحوالهم واستقامت حياتهم .

وقد كان أهل الجاهلية يسارعون إلى النُّصرة حميَّة وعصبية ، يدافع كلٌ منهم عن قبيلته وعشيرته سواء كانت ظالمة أو مظلومة ، وتُراق من أجل ذلك الدماء الكثيرة ، فلما جاء الإسلام أبطل هذه العصبيات الجاهلية ، وأرسى قواعد الأخوَّة الإسلامية ، ومن بدائع التوجيهات النبوية في هذا الحديث الشريف الذي استفتحه النبي e بقوله: (**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**) وكأنه يعيد إلى الأذهان ما كانوا يفعلونه قبل الإسلام ، ليشد من انتباههم لمعرفة المعنى المقصود [١٢٣].

---

(١٢٢) رواه البخاري رقم/ ٢٣٢١، ورقم/ ٦٥٥٢ .

(١٢٣) فتح الباري - ٥/ ٩٨ .





ولهذا بادر أحدهم بالسؤال: (يا رسول الله أنصُره إذا كان مظلوماً ، أرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟)

وهنا يأتي الجواب النبوي المحكم، لتوضيح حقيقة مهمة من حقائق هذا الدين الحنيف، الذي أبطل الله سبحانه به كل عادات الجاهلية وعصبيتها العمياء، فلا يجوز للمسلم أن يرضى بالظلم مهما كانت دوافعه ، ولا يرضى لأخ من إخوانه أن يتسبب فيه، وإنما الواجب عليه إرشاده ليمتنع عن الظلم ويسارع إلى نجدة المظلومين .

وفي الحديث لطيفة مهمة ، وذلك أن الذي يظلم الآخرين هو في الحقيقة ظالمٌ لنفسه أولاً ، وسيقف يوم الحساب موقفاً عسيراً بين يدي ربه U ، وهذه النفس التي ظَلَمَها صاحبها بتعدِّيه على الآخرين لابد من رفع الظلم عنها بالإرشاد والتوجيه، قبل أن يحل بها العذاب الشديد والعقاب الأليم يوم القيامة، فلا تجد ناصراً ولا معيناً، كما قال الله U { وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ } (١٢٤) .

وقبل أن تصيبها سهام دعوة المظلوم ، كما ورد في الحديث أن النبي e قال : (ثلاثة لا تُردُّ دعوتهم) وذكر منهم: (ودعوة المظلوم ، يرفعها الله فوق الغمام ، وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب U : (وعزتي وجلالي لأنصرنَّكِ ولو بعد حين) (١٢٥) .

---

(١٢٤) سوره الحج / ٧١ .

(١٢٥) رواه الإمام أحمد ٢/٤٤٥، والترمذي - رقم / ٣٥٩٨ وحسَّنه، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة - رقم/ ٨٧٠ .





طريقة التعامل مع النفس

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي e قال : ((**إن الدينَ يُسر، ولن يُشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غَلَبَهُ، فسدِّدوا، وقارِبوا، وأبشروا، واستعينوا بالغَدْوَةِ والرَّوحَةِ وشيءٍ من الدُّلْجَةِ**))[١٢٦]

المفردات:

سدِّدوا: اطلبوا السداد، وهو الصواب والقصد.

قاربوا: قاربوا من السداد إن عجزتم عن بلوغه، والمقاربة: القصد الذي لا غلو فيه ولا تقصير.

الغدوة : سير أول النهار، والروحة: آخر النهار، والدلجة: آخر الليل .

التوجيهات:

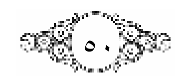
في هذا الحديث استعارة وتمثيل، ومعناه : استعينوا على طاعة الله U بالأعمال في وقت نشاطكم وفراغ قلوبكم، بحيث تستلذون العبادة ولا تسأمون، وتبلغون مقصودكم، كما أن المسافر الحاذق يسير في هذه الأوقات، ويستريح هو ودابته في غيرها ، فيصلُ المقصود بغير تعب [١٢٧].

ومعنى (ولن يشادَّ الديَن أحدٌ إلا غلبه)، أي: لن يُشدِّد أحدٌ على نفسه فوق طاقته إلا عجز، وردَّه الدين إلى اليُسر والرِفق، حتى يستطيع القيام بتلك الأعمال والمداومة عليها بهمة ونشاط .

وأما قوله e : (فسدِّدوا وقاربوا) فمعناه الاعتدال والقصد، والتوسط بين الإفراط والتفريط فلا يهمل العبد واجباً، ولا يحمِّل نفسه فوق قدرتها.

(١٢٦) رواه البخاري – كتاب الإيمان – باب الدين يسر – ٣٩ .

(١٢٧) رياض الصالحين – ص/٧٩ .





وفي هذا المثل النبوي البليغ درس توجيهي عظيم لكيفية التعامل مع النفس حتى يصل بها العبد إلى صلاحها بأيسر السبل، دون أن يلزمها مالا تطيقه فتنفر منه وتتمرد عليه .

لهذا جاءت البشارة في هذا الحديث النبوي لمن التزم الاعتدال فقال e : (وأبشروا) أي: أبشروا بالثواب على العمل الدائم وإن لم يكن كثيراً [128]، لأن القليل الدائم خير من الكثير المنقطع .

وقد قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى :

(قوله e : (**أبشروا**) يعني أن من مشى في طاعة الله على التسديد والمقاربة فليبشر، فإنه يصل ويسبق الدائب في الأعمال ... وليست الفضائل بكثرة الأعمال البدنية، لكن بكونها خالصة لله U، صواباً على متابعة السنة، وبكثرة معارف القلوب وأعمالها ... ولهذا قال بعض السلف : ما سبقهم أبو بكر t بكثرة صوم ولا صلاة، ولكن بشيء وَقَر في صدره، وقال بعضهم: الذي كان في صدر أبي بكر t المحبة لله والنصيحة لعباده) [١٢٩].

(١٢٨) فيض القدير للمناوي ٢/٣٣٩ .

(١٢٩) المحجّة في سير الدُّلجة – لابن رجب – ص/٥٢ .





٣

المؤمن مرآة المؤمن

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي e قال : ((**المؤمن مرآة المؤمن ، والمؤمن أخو المؤمن ، يَكُفُّ عنه ضَيْعته ويَحُوطُه من ورائهِ**)) (١٣٠) .

المفردات:

يكفُّ ضيعته: أي يجمع عليه معيشته، وضيعةُ الرجل: ما فيه معاشه .

يحوطه من ورائه : أي يحفظه ويصونه من ورائه من حيث لا يعلم ، ويدفع عنه من يغتابه أو يُلحق بـه ضرراً في عرض أو بدن أو مال (١٣١) .

التوجيهات:

عندما ينظر الإنسان في المرآة فيرى أوساخاً على وجهه فإنه لا يعاتب المرآة ولا يهجرها، وإنما يفرح بما لاحظهُ من عيوبه التي كشفتها تلك المرآة، ويسارع إلى إزالتها، وكذلك الصديق الناصح ينبغي أن نفرح بنصيحته ونشكره عليها، ونستجيب لها، ونصبر على مراراتها، لأنها ستؤدي إلى نجاتنا من المهالك، وطهارة نفوسنا من الدنس .

وفي ذلك يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: (المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى، وقد لا ينقلع الوسخ إلا بنوع من الخشونة، لكن ذلك يوجب من النظافة والنعومة ما نحمد معه ذلك التخشين) (١٣٢) .

---

(١٣٠) رواه أبو داود – كتاب الأدب – باب النصيحة – رقم /٤٩١٨ ، ورواه البخاري في الأدب المفرد – باب المسلم مرآة أخيه – ص/٩٣ .

(١٣١) فيض القدير للمناوي ٦/ ٢٥٢ .

(١٣٢) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٥٣ .





فالصاحب الصالح هو الذي يبصِّرك بعيوبك، ويرشدك إلى ما يرفع مقامك عند ربك، ويذكرك بالآخرة، ويخوفك من أهوالها وعذابها ، وأما من يقرُّك على أخطائك ويبرر لك كل تصرفاتك ، ويزيدك غفلة عن الدار الآخرة فهو عدو لك ، وتأمل معي الرواية الأخرى لهذا الحديث ؛ وهي قوله e : (المؤمن مرآة أخيه إذا رأى فيه عيباً أصلحه) (١٣٣) ، ولهذا قيل : (صديقك من صَدَقَكَ لا من صدَّقك) .

وأنت عندما تحرص على نصح صديقك وعتابه فإنك تنظر إليه بعين الشفقة ، لا بعين الرضا، ولا بعين السخط، لأن عين الرضا تخفي المساوئ كلَّها وتجعل القبيح حسناً، وعين السخط تكشف خبايا العيوب بقصد الإهانة والتجريح .

وقد قال الشاعر :

وعيُن الرضا عن كل عيبٍ كليلةٌ ... كما أنَّ عين السخط تُبدي المساويا

فالعتاب والنصح بعين الشفقة هو الذي يقِّوي الأخوة، ويزيد تماسكها، ويبارك فيها، ويحقق فيها الوصف النبوي البديع: (**المؤمن مرآة المؤمن**).

والمرآة الصادقة تكشف لك عيوب نفسك، فإذا رأيت عيباً على أحد إخوانك فهي فرصة لمراجعة نفسك أيضاً، لإزالة عيوبها وتصحيح أخطائها.

ولهذا ينبغي التدقيق في اختيار الأصدقاء والجلساء، لينتفع الإنسان من صداقتهم بما يناله منهم من نصح، وما يكتسبه منهم من آثار طيبة وسمعة حسنة، لأنه سيوزن بين الآخرين بميزان من يصاحبه.

(١٣٣) رواه البخاري في الأدب المفرد - رقم / ٩٣ .





بشارة وتخويف

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله e قال : ((**إنَّ أحدكم إذا مات عُرِض عليه مقعدهُ بالغَداة والعَشي ، إنْ كانَ من أهل الجنة فمِن أهلِ الجنة ، وإنْ كان من أهل النارِ فمن أهل النار ، فيقال : هذا مقعدُكَ حتى يبعَثكَ الله يوم القيامة**)) [(١٣٤)] .

المفردات:

عُرِض عليه مقعده : أُريَ مكانه .

بالغداة والعشي : وقتَ الصباح ووقت المساء .

هذا مقعدك حتى يبعثك الله : هذا مكانك الذي تبعث إليه يوم القيامة .

التوجيهات:

يتضمن هذا الحديث بشارةً لأهل الإيمان ، وتحذيراً لأهل الكفر والفسوق والعصيان، **فما أعظم سعادة المؤمن** وهو يرى مقعده في الجنة وينعم بهذه البشارة ويكرمه المولى U فيجعل قبره روضة من رياض الجنة، ويفسح له في قبره مدَّ البصر .

وما أشدَّ شقاء أهل الفجور والضلال وهم يعذَّبون في قبورهم ، ويضيَّق على أحدهم في قبره حتى تختلفَ أضلاعه ، ويرى مقعده من النار فتشتد حسرته وندامته على ما فرَّط ، ويتجرَّع غُصَصَ الآلام جزاءً وفاقاً لما اقترف من آثام .

ويتكرر هذا المشهد كل صباح ومساء ، حيث يرى المؤمن وهو في قبره مقعده من الجنة ، ويرى الكافر

(١٣٤) رواه البخاري / ١٣١٣ ، ومسلم / ٢٨٦٦ .





والفاجر مقعده من النار ، فإذا قامت القيامة ، ودخل أهل الجنةِ الجنةَ، وأهل النارِ النارَ ، فإن المؤمن في الجنة يرى المقعد الذي كان ينتظره في النار لو كان من أهل الضلال ، وكذلك أهل النار يرى كلٌ منهم مقعده في الجنة الذي حُرم منه فتزداد ندامته ، ومصداق ذلك الحديث الذي رواه أبو هريرة t قال: قال رسول الله e **((كلُ أهل النار يرى مقعده من الجنة ، فيقول : لو أن الله هداني ، فيكون عليه حسرة ، وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار ، فيقول لولا أن الله هداني ، فيكون له شكراً ، ثم تلا رسول الله e** { أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ } [(١٣٥)] **))** [(١٣٦)].

فهل ترضى لنفسك أن تندم حيث لا ينفع الندم ؟!

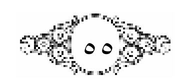
{ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ } [(١٣٧)].

---

(١٣٥) سورة الزمر / ٥٦ .

(١٣٦) رواه الإمام أحمد ٢ / ٥١٢ ، والحاكم ٢ / ٤٣٥ وصححه ووافقه الذهبي، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة - رقم / ٢٠٣٤ .

(١٣٧) النازعات / ٣٧-٤١ .





فضل الحب في الله

عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله e :

((إن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي ، اليوم أُظلهم في ظلِّي يومَ لا ظلَّ إلا ظلي)) [١٣٨].

المفردات :

بجلالي : بعظمتي وطاعتي، لا للدنيا.

التوجيهات:

لكل إنسان أصحاب وأصدقاء يحبُّهم ويجالسهم ويأنس بهم ، فإن كان ذلك الحب لمصلحة دنيوية مؤقتة فهو حبٌ سرعان ما ينقلب إلى عداوة وخصومه بزوال تلك المصلحة، أو الخلاف على أمر من أمور الدنيا ، وإن كان حباً خالصاً لله U فهو الحب الباقي في الدنيا والآخرة، وذلك مصداقاً لقول الله سبحانه: { ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ } [١٣٩].

ومن أعظم المسرَّات أن يجد المسلم له صحبةً صالحة يأنس بهم، إخوة ناصحين أوفياء، ومن جعل محبته لإخوانه خالصة لربه U حظي بالرضوان يوم القيامة، وكان ممن يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله، وقد وردت هذه البشائر في أحاديث أخرى من بدائع التوجيهات النبوية :

فعن معاذ بن جبل t قال: سمعت رسول الله e : (قال الله تبارك وتعالى: وجبتْ محبتي للمتحابين فـيَّ ، والمتجالسين فـيَّ، والمتزاورين فـيَّ) [١٤٠].

---

[١٣٨] رواه مسلم - رقم/٢٥٦٦

[١٣٩] سورة الزخرف آية / ٦٧ .

[١٤٠] رواه مالك في الموطأ ٢ / ٩٥٤ ، ورواه الإمام أحمد ٥ / ٢٢٩، والحاكم ٤ / ١٦٩ وصححه وأقره الذهبي .



وهذا أعظم فخر وفضل يحظى به المتحابون في الله، والمجتمعون في مجالسهم ابتغاء مرضاة الله، والذين يزورون بعضهم لتوثيق صلة الأخوة والمحبة، الخالصة لله U .

وعن أبي هريرة t عن النبي e قال : (سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظلهُ ...) وذكر منهم : (ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه)(١٤١) .

أي: كان سبب اجتماعهما حبُ الله U، واستمرا على ذلك حتى تفرقا من مجلسهما ، وهما صادقان في حب كل واحدٍ منهما لصاحبه حال اجتماعهما وافتراقهما (١٤٢).

وعن أنس بن مالك t قال: قال رسول الله e : (ما تحابَّ رجلان في الله إلا كان أحبُّهما إلى الله عز وجل أشدهما حباً لصاحبه) (١٤٣).

فاحرص على صحبة مَنْ ينهض بك حالُه ، ويدلُّكَ على الخير مقالُه ، لتستزيد من الخيرات ، وتتقوَّى بصحبته على الطاعات ، وتظفر بمرافقته في الجنات بإذن الله تعالى .

إذا كنتَ في قومٍ فصاحبْ خيارهم   ولا تصحب الأردَى فتردى مع الردي

وقد بشَّر الرسول e بأن المرء يحشر يوم القيامة مع الصالحين الذين يحبهم، وإن كان أقل منهم في المنزلة.

فعن أبي ذر t أنه قال: (يا رسول الله، الرجل يحبُّ القوم، ولا يستطيع أن يعمل كعملهم. قال: أنت يا أبا ذر مع من أحببت.

قال: فإني أحب الله ورسوله .

قال: فإنك مع من أحببت) (١٤٤).

---

(١٤١) رواه البخاري رقم/ ٦٦٠، ورواه مسلم – رقم/١٠٣١.

(١٤٢) شرح النووي على صحيح مسلم – ١٠٨/٧ .

(١٤٣) رواه ابن حبان في صحيحه –رقم/٥٦٦ والطبراني في الأوسط بإسناد جيد قوي كما قال المنذري في الترغيب والترهيب (رقم /٤٤٣٤) .

(١٤٤) رواه الإمام أحمد ٥/ ١٥٦، والدرامي (٢٧٨٧) ، والبخاري في الأدب المفرد (٣٥١) ، وأبو داود رقم/٥١٢٦ واللفظ له ، قال في



وعن ابن مسعود t قال: جاء رجل إلى رسول الله e فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجلٍ أحبَّ قوماً ولم يلحق بهم ؟

قال رسول الله e: المرء مع من أحب) [١٤٥] .

وعن أنس t أن أعرابياً قال لرسول الله e: متى الساعة؟ قال: وما أعددت لها؟

قال: حب الله ورسوله .

قال: أنت مع من أحبت)

قال أنس: فما فرحنا بشيء فَرَحنا بقول النبي e : (أنت مع من أحببت)

قال أنس: فأنا أحب النبي e وأبا بكر وعمر ، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم) [١٤٦].

وما أبدع قول الإمام الشافعي رحمه الله :

أحبُّ الصالحين ولست منهم   لعلي أن أنال بهم شفاعةْ

وأكره من تجارته المعاصي   وإن كنَّا سوياً في البضاعةْ

وإذا كان هذا قول الإمام الشافعي مع مكانته العظيمة في العلم والعمل، فما أحرانا ـ ونحن نشكو من غفلتنا وذنوبنا ـ أن نستنهض هممنا بمحبة الصالحين وصحبتهم ، والتأسي بهم، راجين أن يحشرنا الله U في زمرتهم يوم القيامة .

حاشية المسند : إسناده صحيح على شرط مسلم .

(١٤٥) رواه البخاري- ٦١٧٠ ، ومسلم – رقم/ ٢٦٤٠.

(١٤٦) رواه البخاري – رقم/ ٣٦٨٨ ، ٦١٦٧ ، ومسلم رقم/ ٢٦٣٩ .





تعاهد القرآن

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله e قال :

((إنما مثَلُ صاحبِ القرآن كمَثَلِ صاحب الإبل المعقَّلة، إنْ عاهدَ عليها أمسَكَها، وإن أطلقها ذهبتْ)) (١٤٧) .

المفردات:

الإبل المعقَّلة : المشدودة بالعقال، وهو الحبل الذي يُشد في ركبة البعير .

التوجيهات:

إذا أكرمك الله U بحفظ كتابه، فقد حظيت بكنز لا تعدله كنوز الدنيا، والواجب عليك المحافظة عليه، وتعاهده بالمذاكرة والمراجعة وتكرار التلاوة .

ولهذا حثَّ الرسول e على تعاهد القرآن الكريم خشية النسيان، وحذَّر من التهاون والتفريط في ذلك في أحاديث عديدة، ومن أبرزها :

حديث أبي موسى الأشعري t عن النبي e قال: (تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده لَهُوَ أشدُّ تفلتاً من الإبل في عُقلها) (١٤٨) .

وحديث عبد الله بن عمر t قال: قال رسول الله e : (استذكروا القرآن، فلهوَ أشدُّ تفصِّياً من صدور الرجال من النَّعم بعُقلها) (١٤٩) .

وحديث عقبة بن عامر t قال: قال رسول الله e : (تعلَّموا القرآن وتغنَّوا به واكتبوه، فوالذي نفسي

---

(١٤٧) رواه البخاري – رقم/ ٥٠٣١ ، ومسلم – رقم/ ٧٨٩ باب الأمر بتعهد القرآن .

(١٤٨) رواه مسلم رقم/ ٧٩١ .

(١٤٩) رواه مسلم – رقم/ ٧٩٠ والتفصِّي هو التفلُّت، والنَعم أصلها الإبل والبقر والغنم، والمراد هنا الإبل خاصة لأنها التي تُعقل، أي: تُربط بالعقال .





بيده لهو أشدُّ تَفلُّتاً من المخاض في العُقُل) [١٥٠].

والمعروف أن الإبل إذا ذهبت وتفلَّتت من صاحبها لا يقدر على الإمساك بها إلا بعد تعب ومشقة، فكذلك صاحب القرآن إن لم يتعاهد حفظه بالتكرار والمراجعة انفلت منه، واحتاج إلى مشقة كبيرة لاسترجاعه .

وقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (ما دام التعاهد موجوداً فالحفظ موجود ، كما أن البعير ما دام مشدوداً بالعقال فهو محفوظ ، وخصَّ الإبل بالذكر لأنها أشد الحيوان الإنسي نفوراً ، وفي تحصيلها بعد إستمكان نفورها صعوبة)[١٥١].

وهناك وجه آخر لهذا المثل وهو أن الإبل مع شدة قوتها وعِظم خلقها تنقاد مع الضعيف والقوي والصغير والكبير، والقرآن الكريم مع علوِّ قدره وجلالة أمره ميسَّر للحفظ والتلاوة للضعيف والقوي والصغير والكبير والذكر والأنثى[١٥٢] .

قال ابن بطال : (هذا الحديث يوافق الآيتين : قوله تعالى : { إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا } [١٥٣].

وقوله تعالى : { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ } [١٥٤].

فمن أقبل عليه بالمحافظة والتعاهد يُسِّر له ، ومن أعرض عنه تفلَّت منه [١٥٥] .

وفي هذا حض على دوام مراجعة الحفظ، وتكرار التلاوة خشية النسيان ، وقد ضرب الرسول e هذا المثل لأنه أقرب في توضيح المقصود ، كما أكد ذلك بالقَسَم (فو الذي نفس محمد بيده) تأكيداً على أهمية تعاهد القرآن ومراجعة الحفظ .

فلتحذر ـ أخي الحبيب ـ من التعرض لنسيان الحفظ، والتعلّق القلبي بأمور الدنيا وكثرة الانشغال بها ،

(١٥٠) رواه أحمد في "المسند" ٤ /١٤٦ وإسناده قوي كما قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لزاد المعاد ١ /٤٧٠

(١٥١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٩ /٧٩ .

(١٥٢) التصوير الفني في الحديث النبوي - للدكتور محمد لطفي الصباغ - ص/ ٤١٢ .

(١٥٣) سورة المزمل / أية: ٥ .

(١٥٤) سورة القمر / أية: ١٧ .

(١٥٥) فتح الباري ٩ /٨١ .





وكل أمرٍ يؤدي إلى إهمال مراجعة القرآن وترك تلاوته .

قال الإمام ابن المنادى رحمه الله :

(ما زال السلف يرهبون نسيان القرآن بعد الحفظ لما في ذلك من النقص)(١٥٦).

ومن أهم طرق المراجعة وتثبيت الحفظ الإكثار من التلاوة والمداومة عليها، والحرص على تلاوة بعض الأجزاء والسور في التهجد وقيام الليل، مما يرسِّخ الحفظ، ويرفع مقام العبد إلى منزلة المقربين الأبرار المستغفرين بالأسحار، وقد أرشدنا النبي e إلى ذلك فقال e : (وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذَكرهُ، وإذا لم يقم به نسِيَهُ) (١٥٧).

ولنتأمل هذا التوجيه النبوي البديع في قوله e : (بئس مالأَحدِهم أن يقول نسيت آية كَيْت وكيت ، بل نُسيِّ) (١٥٨).

و (نُسِّي) بضم النون وتشديد السين، معناه أنه عوقب بوقوع النسيان عليه لتفريطه في تلاوته واستذكاره (١٥٩).

قال الإمام ابن حجر رحمه الله :(سبب الذم ما فيه من الإشعار بعدم الاعتناء بالقرآن، إذ لا يقع النسيان إلا بترك التعاهد وكثرة الغفلة، فلو تعاهده بتلاوته والقيام به في الصلاة لدام حفظه وتذكُّره، فإذا قال الإنسان نَسيتُ الآية الفلانية فكأنه شهد على نفسه بالتفريط، فيكون متعلِّقُ الذم تركُ الاستذكار والتعاهد ، لأنه يورث النسيان) (١٦٠).

اللهم جعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ، وجلاء أحزاننا ، اللهم ذكِّرنا منه ما نُسِّينا ، وعلِّمنا منه ما جهلنا ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

---

(١٥٦) متشابه القرآن العظيم – للإمام ابن المنادى – ص / ٥٢ .

(١٥٧) رواه مسلم – رقم/ ٧٨٩ (٢٢٧) .

(١٥٨) رواه البخاري – رقم/ ٤٧٤٤ ، ومسلم - رقم / ٧٩٠ ، ومعنى (كيت وكيت) أي : كذا وكذا ، وهو لفظ يعبَّر به عن الجمل الكثيرة والكلام الطويل .

(١٥٩) فتح الباري ٩ / ٨٠ .

(١٦٠) المرجع السابق ٩/ ٨١ .





الماهر بالقرآن

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله e :

((الماهرُ بالقرآن مع السَفَرة الكِرام البررة، والذي يقرأُ القُرآن ويَتتعتعُ فيه، وهو عليه شاقٌ، لهُ أَجْرَان)) [١٦١] .

المفردات:

الماهر بالقرآن : المتقن لتلاوته وحفظه بدون مشقة أو توقف

السَفره : الرسل أو الملائكة .

البرَرة : المطيعون .

يتتعتع : يتردد في تلاوته.

والمهارة في القرآن: جودة التلاوة مع جودة الحفظ ولا يتردد فيه [١٦٢] .

التوجيهات:

هذا الحديث النبوي تاج فخارٍ لأهل القرآن الذين حفظوا آياته وأتقنوا تلاوته فأصبحوا ما هرين به ، فهم مع الرسل الأخيار والملائكة الأبرار، السفرة الكرام البررة يوم القيامة في الجنات.

وأما الذي يجد صعوبة ومشقة في تلاوته وحفظه ، ويتتعتع فيه ، ومع ذلك يبذل جهده ويكرر قراءته حتى يتقنه ويضبطه ، فهذا له أجران ، أجر التلاوة والتعلُّم وأجر المشقة التي يتحملها ، وسرعان ما يكرمه المولى بتعلم القرآن وحفظه إن أخلص وصدق، فيلحق أهل المرتبة الأولى مع الملائكة المقربين .

---

(١٦١) رواه البخاري رقم/٤٩٣٧، رواه مسلم - رقم /٧٩٨ باب فضل الماهر بالقرآن.

(١٦٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم – للإمام أبي العباس القرطبي – ٢ / ٤٢٥ .





وقد جاء في رواية البخاري لهذا الحديث : (**مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظٌ له مع السفرة الكرام البررة ...**)[١٦٣]. تأكيداً على أن المقصود بالماهر إتقان التلاوة مع إتقان الحفظ .

ولا شك أن السفرة من الرسل والملائكة يقومون بتبليغ رسالة الله U إلى الناس، وهم البرَرَة المطيعون لله والماهرون في أداء رسالتهم، وكذلك أهل القرآن المجوِّدون له والمتقنون لتلاوته وحفظه ونشره وتعليمه للناس، فهم السفَرة المهرة في الدنيا جيلاً بعد جيل، وهم مع السفرة يوم القيامة، فالماهر بالقرآن يبلِّغ رسالة الأنبياء وميراث النبوة، ويتصف بصفتهم ويسلك مسلكهم، ويرقى بأعماله المباركة ليكون رفيقاً للملائكة الأبرار .

قال الإمام القرطبي رحمه الله: (وجهُ كونهم مع الملائكة أنَّ حملةَ القرآن يبلِّغون كلام الله إلى خلقه، فهم سفراء بين رسُل الله وبين خلقه، فهم معهم، أي: في مرتبتهم في هذه العبادة) [١٦٤] .

ولهذا قال النبي e لأبي ذر t : (يا أبا ذر، لأنْ تغدوَ فَتَعلَّم آية من كتاب الله خيرٌ لك من أن تصلي مائةَ ركعة) [١٦٥].

وهكذا تحظى مجالس تعليم القرآن الكريم بالأجر العظيم والخير العميم، ويظفر أهلها بالخيرات والبركات .

---

(١٦٣) رواه البخاري – رقم/ ٤٩٣٧ .

(١٦٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - ٢/ ٤٢٥ .

(١٦٥) رواه ابن ماجه- رقم/ ٢١٩، وحسَّنه المنذري في الترغيب والترهيب- رقم/ ٢١٢٦ .





٣

إكرام حامل القرآن

عن أبي موسى الأشعري t قال : قال رسول الله e ((**إنَّ من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط**)) [١٦٦] .

المفردات :

من إجلال الله: أي تعظيمه .

الغالي: هو المتجاوز الحد المبالغ في غير موقع التشدد، وهذا ينافي منهج الإسلام في اليسر والاعتدال .

والجافي : من الجفاء ، وهو ترك العمل بالقرآن .

المقسط : العادل .

التوجيهات:

حامل القرآن المستحق للمنزلةِ العاليةِ والتكريم هو المتمسك به الملتزم لهديه ، وأما الذي يحفظ حروفه ولا يعمل به فإنه لا يُوقَّر ولا يُكرَّم، ولا يُعَدُّ حاملاً للقرآن ولو كان يحفظه عن ظهر قلب .

وبهذا يجمع المربي الحكيم e بين الحضِّ على إجلال وتكريم حامل القرآن، وبيان المنهج القويم الذي ينبغي لحملة القرآن أن يتسلحوا به .

وقد وردت أحاديث نبوية عديدة في بيان منزلة حامل القرآن الكريم وفضله، ومنها حديث أنس t قال: قال رسول الله e : (إن لله أهلين من الناس، قالوا: من هم يا رسول الله ؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته) [١٦٧].

---

(١٦٦) رواه أبو داود رقم / ٤٨٤٣، وحسّنه الإمام النووي في رياض الصالحين رقم /٣٥٤ ، والحافظ العراقي في تخريجه للإحياء ٢/١٩٦ .

(١٦٧) رواه الإمام أحمد ٣/١٢٧، وابن ماجه – رقم/٢١٥، والحاكم ١/٥٥٦، وصححه الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب- رقم/ ٢١٢١ .

وأهل القرآن هم حفظته العاملون به الحافظون لحدوده، وهؤلاء هم أهل الله، أي: المقربون لديه المختصون برحمته ورضوانه.

وممن ينبغي توقيره وتكريمه أيضاً المسلم الكبير في السن الذي تقدَّم به العمر، وقد جاء في الحديث عن عبد الله بن عباس t قال: قال النبي e : (ليس منَّا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حقَّ كبيرنا) [١٦٨].

وعن أنس بن مالك t قال : قال رسول الله e : (ما أكرم شابٌ شيخاً لسنِّهِ إلا قيَّضَ الله له من يكرمه عند سنِّهِ)[١٦٩].

وأما السلطان المقسط فهو الإمام العادل، الذي أوجب الله على المسلم طاعته وتوقيره، فقال تعالى : { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ } [١٧٠] وقد أمر الله عباده بالقسط فقال U : { وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ }[١٧١].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله e : (إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حُكمهم وأهليهم وماوَلُوا) [١٧٢].

---

(١٦٨) رواه الإمام أحمد ٢/٢٠٧، وأبو داود – رقم/٤٩٤٣، والترمذي – رقم/ ١٩٢١ وقال : حديث حسن صحيح .

(١٦٩) رواه الترمذي – رقم/٢٠٢٢، والطبراني في المعجم الأوسط رقم/ ٥٩٠٣، والقضاعي في مسند الشهاب ٢/ ٢٠ رقم / ٨٠٢ ، وقال الترمذي : حديث غريب .

(١٧٠) سورة النساء/ آية ٥٩ .

(١٧١) سورة الحجرات/ آية ٩ .

(١٧٢) رواه مسلم – رقم/١٨٢٧ .



٣٢

الدعاء المستجاب

عن أبي هريرة t قال : قال رسول الله e ((**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ**)) [١٧٣] .

التوجيهات :

الدعاء سلاح المؤمن ، حيث يلتجئ إلى ربه سبحانه متضرعاً ، ويدعوه بقلب خاشع فيستجيب الله دعاءه ويقبل رجاءه ، بفضله وكرمه U .

وقد جاء في رواية أخرى لهذا الحديث عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله e قال: (القلوب أوعية، وبعضها أوعى من بعض، فإذا سألتم الله U يا أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة، فإن الله لا يستجيب لعبدٍ دعاهُ عن ظهر قلبٍ غافلٍ) [١٧٤] .

ومن تكاسل عن الدعاء أو تهاون في شأنه فقد خسر خسراناً مبيناً ، لأنه ترك الالتجاء إلى القوي القادر والمعين الناصر سبحانه وتعالى .

وقد أمرنا الله سبحانه بالدعاء ووعدنا بالإجابة، فقال U { وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } [١٧٥] .

ولهذا قال النبي e : (**الدعاء هو العبادة**) [١٧٦] وقال أيضاً : (**أعجز الناس مَن عجز عن الدعاء**) [١٧٧]

---

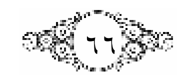
(١٧٣) رواه الترمذي - رقم ٣٤٧٩ ، والحاكم ١/٤٩٣ ، وحسَّنه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/١١٨، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم/ ٥٩٤ .

(١٧٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢/١٧٧ بإسناد حسن، كما قال المنذري في الترغيب والترهيب –رقم/٢٤٥٩ .

(١٧٥) سورة غافر / آية ٦٠ .

(١٧٦) رواه أبو داود - رقم /١٤٧٩ ، والترمذي - رقم/ ٢٩٧٣ ، وقال: حديث حسن صحيح

(١٧٧) رواه الطبراني في الأوسط ٢/٤٢، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/١٤٧





فهل يعجز العبد المفتقر إلى مولاه القادر أن يرفع يديه بالدعاء متذللاً خاشعاً لله U ؟

وكيف يعجز عن ذلك وهو يعلم أن الدعاء سهل ميسور ؟ وأن الدعاء الصادق تفتح له أبواب الإجابة، وأن المولى العليم الحكيم إما أن يحقق للداعي ما يطلب أو يصرف عنه من السوء مثله ، أو يدَّخر له الأجر يوم القيامة ، إذا تحقق بآداب الدعاء وأهمها خشوع القلب.

عن عبادة بن الصامت t أن رسول الله e قال : **(ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوةٍ إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلَها، مالم يدعُ بإثم، أو قطيعة رحم)** فقال رجل من القوم : إذاً نكثر ، قال : **(الله أكثر)** .

وفي رواية : **(أو يدَّخر له من الأجر مثلها)**(١٧٨) .

ومعنى (الله أكثر) أي : أكثر إحساناً ممَّا تطلبون ، وأكثر إجابة من دعائكم الذي تدعون، وفضله وعطاؤه أكثر سبحانه وتعالى .

فما أعظم فضل المولى سبحانه، وجزيل عطائه، ورحمته بعباده، وإحسانه إليهم إذا استجابوا لطاعته، وتقرَّبوا إليه بالدعاء والتضرع .

وما أسوأ صنيع من يتعلَّق قلبه بسؤال الناس والتذلل إليهم، ويغفل عن سؤال الله U .

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

(إن في سؤال الله عبودية عظيمة، لأنها إظهارٌ للافتقار إليه، واعترافٌ بقدرته على قضاء الحوائج، وفي سؤال المخلوق ظلم، لأن المخلوق عاجز عن جلب النفع لنفسه ودفع الضر عنها، فكيف يقدر على ذلك لغيره ؟.

فكيف يسأل الفقير العاجز ويترك الغني القادر ؟ إن هذا لأعجب العجب، والله U يحب أن يُسأل، ويغضب على من لا يسأله، فإنه يريد من عباده أن يرغبوا إليه ويسألوه ويدعوه ويفتقروا إليه، ويحب الملحِّين في الدعاء، والمخلوق يكره أن يُسأل لفقره وعجزه.

قال ابن السماك : لا تسأل من يفرُّ منك، واسأل من أمرك أنْ تسألَه .

---

(١٧٨) رواه الترمذي – رقم/٣٦٠٢ وقال حديث حسن صحيح، والحاكم في المستدرك رقم ١/ ٤٩٣





وقال أبو العتاهية :

الله يغضب إن تركت سؤاله	وبُنيَّ آدم حين يُسأل يغضب
فاجعل سؤالك للإله فإنما	في فضل نعمةِ ربنا نتقلَّب

فأيُّ وقتٍ دعاه العبد وجدهُ سميعاً قريباً مجيباً، ليس بينه وبينه حجاب ولا بوَّاب، وأما المخلوق فإنه يمتنع بالحجاب والأبواب، ويعسُر الوصول إليه في أغلب الأوقات وقد سأل رجلٌ بعض الصالحين أن يشفع له في حاجة إلى بعض المخلوقين، فقال له: أنا لا أتركُ باباً مفتوحاً، وأذهب إلى باب مُغلق .

وسأل رجلٌ ثابتاً البناني أن يشفع له إلى أحد القضاة في قضاء حاجة له، فقام ثابت معه، فكان كلما مرَّ بمسجد في طريقه دخل فصلى فيه ودعا، فما وصل إلى مجلس القاضي إلا وقد غادره فلم يجده، فعاتبه صاحب الحاجة في ذلك، فقال: ما كنتُ إلا في حاجتك، فقضى الله حاجته دون الحاجة إلى القاضي)[١٧٩].

وقد قال الشاعر :

وإني لأدعو الله والأمرُ ضيقٌ	عليَّ فما ينفكُّ أن يتفرَّجا
ورُبَّ فتى سُدَّتْ عليه وجوهُهُ	أصابَ له في دعوة الله مَخرجا [١٨٠]

ولكن الناس اليوم تهاونوا في شأن الدعاء، لأن قلوبهم غافلة، ونفوسهم متعلقة بغير الله U ، فلا يجد أحدهم الخشوع في دعائه إلا نادراً، وإذا رفع أحدهم يديه بالدعاء لم يتذوق حلاوته، ولم يستشعر لذة مناجاته لربه، فيبقى دعاؤه كلمات ينطقها باللسان مع الغفلة وعدم حضور القلب .

ولو أنه جاهد نفسه، وسارع إلى التوبة من ذنوبه، لوجد ثمرة ذلك في لين قلبه واستيقاظه من غفلته، ولوجد في الذكر والدعاء خشوعاً ودموعاً، وغذاء لروحه، ودواءً لجروحه، وشفاء لأسقامه وهمومه.

{ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } [١٨١].

---

(١٧٩) نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي e لابن عباس – للإمام ابن رجب الحنبلي – تحقيق وتعليق: الشيخ محمد ناصر العجمي، ص/ ٦٩-٧٣ باختصار وتصرف يسير .

(١٨٠) المجالسة وجواهر العلم – ٨/١٦

(١٨١) سورة البقرة /آية ١٨٦ .





الحمدُ الكثير

عن ابن عمر t قال : بينما نحن نصلي مع رسول الله e إذ قال رجل من القوم :
الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً فقال رسول الله e :
((**مَن القائل كلمة كذا وكذا ؟**)
قال رجل من القوم : أنا يا رسول الله .
قال e : (**عجبتُ لها ، فُتحت لها أبواب السماء**)
قال ابن عمر: فما تركتُهنَّ منذ سمعت رسول الله e يقول ذلك))[١٨٢].

التوجيهات :

ما أعظم فضل الله U وجزيل عطائه، فهو المنعم علينا الرحيم بنا، وقد أمرنا بالحمد والشكر، وأجزل للحامدين له والمسبحين عظيم الأجر .

وهذا الكون بما فيه من مخلوقات يسبح لله U ويحمده ، كما أخبرنا بذلك المولى سبحانه بقوله : { وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ } [١٨٣].

والملائكة الكرام لا يفتر ُ ون عن التسبيح والثناء على الله U، كما أنهم يحفُّون المؤمنين المسبِّحين ويرفعون تسبيحهم إلى السماء .

روى مسلم عن أنس t أن رجلاً جاء فدخل الصف وقد حَفَزه النَّفَس[١٨٤] فقال: > الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه < فلما قضى رسول الله e صلاته قال: (أيكم المتكلم بالكلمات ؟) فأرمَّ القوم ـ أي: سكتوا ـ .

(١٨٢) رواه مسلم - رقم / ٦٠١ .
(١٨٣) الإسراء/ آية ٤٤ .
(١٨٤) أي: ضاق به وكدَّه لسرعة سيره .





فقال : أيكم المتكلم بها ؟ فإنه لم يقل باساً .

فقال رجل : جئت وقد حفزني النفس فقلتُها .

فقال e : (**لقد رأيتُ اثنى عشر مَلَكاً يبتدرونها ، أيهم يرفعها**) [185] .

فهاهم الملائكة الكرام يتسابقون لرفع هذا التسبيح والتحميد إلى السماء والحفاوة به وتكريم صاحبه .

فكن ـ أخي المسلم ـ مواظباً على ذكر الله وحمده وتسبيحه، واجعل لسانك رطباً بذكر الله U، وافعل كما فعل ابن عمر t عندما قال : (فما تركتنَّ منذ سمعت رسول الله e يقول ذلك) رجاء أن يجعلك الله سبحانه وتعالى ممن بشَّرهم بقول: { وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } [186].

---

(185) رواه مسلم - رقم / ٦٠٠ .

(186) سورة الأحزاب آية / ٣٥ .





المؤمن والمنافق

عن عبد الله بن كعب عن أبيه عن النبي e قال :

((مثل المؤمن كالخامة من الزرع : تُفيئُها الريح مرة وتعدلها مرة ، ومثل المنافق كالأرْزةِ؛ لا تزال حتى يكون انجعافُها مرة واحدة)) [١٨٧] .

المفردات :

الخامة من الزرع : القصبة الطرية الغضَّة من الزرع.

تُفيئها : تقلبها وتميلها .

الأرزة: شجرة معروفة تشبه الصنوبر طويلة وغليظة .

انجعافها :انقلابها مرة واحدة .

التوجيهات:

في هذا الحديث يضرب الرسول e مثلاً لكثرة البلاء الذي يصيب المؤمن، فلا يؤثِّر فيه إلا كما تؤثر الريح في الشجرة الطرية الغضَّة ، التي تتمايل ثم تعتدل إذا سكن الهواء، وأما المنافق والكافر فإنه كشجرة الأرز التي تظهر أنها ثابتة لا تهتز، ولكنها عند الريح الشديدة تنكسر من وسطها أو أسفلها، وقد تقتلع من جذورها .

والأرزة حجمها كبير بارز مقارنة بالسنبلة، لكن نفعها الغذائي أقل، وكذلك المنافق رغم تعاليه لا خير فيه لأمته ومجتمعه، وإنما الخير في المسلم المتواضع المتمسك بدينه[١٨٨] .

---

(١٨٧) رواه البخاري - كتاب المرضى - رقم / ٥٦٤٣، ومسلم – رقم/ ٢٨١٠ .

(١٨٨) التصوير الفني في الحديث النبوي - للصباغ - ص/ ٤٥٣ .





وفي رواية أخرى للحديث (**ومثل الكافر كمثل الأرزة، صماء معتدلة، حتى يقصمها الله إذا شاء**) [189].

وفي رواية: (**مثل المؤمن مثل السنبلة تستقيم مرة وتخرُّ أخرى**) [190].

فالمؤمن يتلقى البلاء فيصبر ، ويرجو الخير من ربه U، فإذا اندفع عنه اعتدل شاكراً ، وأما ضعيف الإيمان وأهل الكفر والنفاق فإن الله يمهلهم ويمدُّ لهم في الدنيا حتى إذا حلَّ بهم البلاء كانت القاصمة .

قال الإمام النووي رحمه الله: (معنى الحديث : أن المؤمن كثير الآلام في بدنه أو أهله أو ماله؛ وذلك مكفِّرٌ لسيئاته، ورافعٌ لدرجاته، وأما الكافر فقليُلها، وإن وقع به شيء لم يكفر شيئاً من سيئاته، بل يأتي بها يوم القيامة كاملة) [191].

وقال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله :

(في هذا فضيلة عظيمة للمؤمن بابتلائه في الدنيا في جسده بأنواع البلاء، تمييزٌ له عن الفاجر والمنافق بأنه لا يصيبه البلاء حتى يموت بحاله، فيلقى الله بذنوبه كلها، فيستحق العقوبة عليها) [192] .

وفي ذلك يقول المولى سبحانه: { وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ } [193].

المصائب تكفر الذنوب :

عن أبي هريرة t عن النبي e قال: (ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في جسده وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة) [194] .

وعن عبد الله بن مسعود t عن النبي e قال: (ما من مسلم يصيبه أذى مِن مرضٍ فما سواه إلا حطَّ

---

(189) رواه البخاري - كتاب التوحيد - رقم / ٧٠٢٨ .

(190) رواه الإمام أحمد - ٣٤٩/٣ .

(191) شرح النووي على صحيح مسلم – ١٥٦/٩ .

(192) غاية النفع في شرح حديث تمثيل المؤمن بخامة الزرع – للإمام ابن رجب - ص/٨ .

(193) سورة هود / ١٠٢ .

(194) رواه الإمام أحمد ٢ /٢٨٧، والترمذي –رقم/٢٣٩٩ وقال: حديث حسن صحيح ، والبخاري في الأدب المفرد- ص/ ١٣٠ .





الله به سيئاته كما تَحُطُّ الشجرة ورقها) [١٩٥] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله e يقول: (ما من شيء يصيب المؤمن، حتى الشوكة تصيبه، إلا كتب الله له بها حسنة أو حُطَّت عنه بها خطيئة) [١٩٦] .

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما سمعا رسول الله e يقول : (ما يصيب المؤمن من وَصَب، ولا سَقَم ولا حَزن، حتى الهمَّ يهمُّه إلا كُفر به من سيئاته) [١٩٧] .

قال الإمام النووي رحمه الله : (في هذه الأحاديث بشارة عظيمة للمسلمين، فإنه قلَّما ينفكُّ الواحد منهم ساعةً من شيء من هذه الأمور) [١٩٨] .

ولهذا ورد عن القاضي شريح رحمه الله أنه قال:

(إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات:

- أحمد الله إذ لم تكن أعظم مما هي .
- وأحمد الله إذ رزقني الصبر عليها .
- وأحمده إذ وفقني للاسترجاع [١٩٩].
- وأحمده إذ لم يجعلها في ديني) [٢٠٠].

وما أبدع قول الشاعر:

اصبر لكل مصيبة وتجلَّد   واعلم بأن الضُرَّ غير مؤبَّد

واصبر كما صبر الكرام فإنها   نُوَبٌ تنوب اليوم تُكشف في غدِ[٢٠١]

---

(١٩٥) رواه مسلم - رقم/٢٥٧١ .

(١٩٦) رواه مسلم – رقم/٢٥٧٢ .

(١٩٧) رواه مسلم – رقم/٢٥٧٣ .

(١٩٨) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/ ١٢٩ .

(١٩٩) أي قول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٢٠٠) سير أعلام النبلاء – للإمام الذهبي – ٤/ ١٠٥ ، ونور الاقتباس في مشكاة وصية النبي e لابن عباس – للإمام ابن رجب الحنبلي – ص/١٠٢ .

(٢٠١) نور الاقتباس ص/١٠٣ .





المال وسيلة لا غاية

عن عبد الله بن الشخيِّر t أنه قال: أتيت النبي e وهو يقرأ (ألهاكم التكاثر ..) قال: ((**يقول ابن آدم : مالي مالي : وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت ؟**)) [٢٠٢] .

المفردات :

ألهاكم التكاثر : شغلكم الإكثار من الدنيا عما هو الأولى بكم من الاستعداد للآخرة .

التوجيهات:

يغتر الإنسان بنسبة المال إليه وكونه في يديه، ويعجب به ويفتخر ، ويتعب في جمعه، ثم لا ينتفع إلا بجزء منه، وأما الباقي فينتقل إلى غيره بعد موته .

وقد ورد في رواية أخرى لهذا الحديث عن أبي هريرة t أن رسول الله e قال: (يقول العبد: مالي مالي ! إنما له من ماله ثلاث:

ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فأقنى، وما سوى ذلك فهو ذاهبٌ وتاركه للناس) [٢٠٣] .

فالمال ظل زائل وعارية مستردة، وقد جعل الله ما يمنحه لعباده من أموال فتنةً واختباراً لهم : { إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ } [٢٠٤].

وإذا تحول حب المال من وسيلة إلى غاية، ودخل ذلك الحب إلى أعماق القلب فإنه سيُهلك صاحبه في الدنيا والآخرة، ويصبح عبداً للمال ينخلع قلبه هلعاً وخوفاً من فواته، ويشقى ويكدح ليظفر بأكبر قدر

---

(٢٠٢) رواه مسلم - رقم / ٢٩٥٨، والترمذي رقم/ ٢٣٤٢، والنسائي رقم ٦/ ٢٣٨ وانظر (المفهم فيما أشكل من شرح مسلم ٧/ ١١١) .

(٢٠٣) رواه مسلم – رقم/ ٢٩٥٩ .

(٢٠٤) سورة التغابن / آية ١٥ .





منه، ويؤذي من حوله ليكسب المزيد، ثم تذهب نتيجة هذا التعب إلى غيره بعد موته ليكون عليه وبالاً يوم القيامة .

ومهما تعب فلن ينال من تعبه إلا ما يملأ بطنه من طعام يفنى، وما يكسو جسده من لباسٍ يبلى، ونحو ذلك من الاحتياجات، والقيمة الحقيقية الباقية لهذا المال ما يدخره لآخرته .

أموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها

عن ابن مسعود t قال : قال رسول الله e : (أيكم مال وارثه أحبُّ إليه من ماله؟)
قالوا : يا رسول الله، ما منا أحدٌ إلا ماله أحب إليه، قال: فإن ماله ما قدَّم، ومال وارثه ما أخَّر) [٢٠٥].
أي: مال وارثه ما تركه لهم بعد موته، وماله ما عمل فيه بطاعة الله وتقواه، فأصبح ذخراً له يوم القيامة.
وقد سئل عبد الله بن مسعود t : من العاقل ؟
فقال: (من يكنز ماله في مكان لا يأكله السوس، ولا تصل إليه اللصوص) [٢٠٦] .

يريد المرء أن يوتى مُناه ويأبي الله إلا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي وتقوى الله أفضل ما استفادا [٢٠٧]

(٢٠٥) رواه البخاري – رقم / ٢٤٤٢ .

(٢٠٦) تنبيه المغترين للشعراني – ص/ ١٣٧ .

(٢٠٧) لطائف المعارف – لابن رجب الحنبلي – ص/ ٤١٨ .





٣

مستريح ومستراح منه

عن أبي قتادة بن ربعي t أنه كان يحدِّث أن رسول الله e مُرَّ عليه بجنازة فقال:
((مُستريحٌ ومستراحٌ منهُ . قالوا : يا رسول الله ! ما المستريح والمستراح منه ؟
فقال : العبد المؤمن يستريح من نَصَب الدنيا ، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب)) (٢٠٨) .

المفردات :

نصب الدنيا : تعبها .

التوجيهات:

العبد المؤمن يحيا في هذه الدنيا راضياً بما قدَّر الله له، صابراً على ما يتعرض له من بلاء ومحن، باذلاً جهده في السعي لنيل رضى الله تعالى، ومجاهداً نفسه لحجزها عن المعاصي والآثام والشرور، حتى إذا حانت لحظة وفاته استراح ، واطمأنت نفسه ، واستبشر برحمة ربه U .

ولهذا جاء في رواية أخرى: (العبد المؤمن يستريح من أذى الدنيا إلى رحمة الله) (٢٠٩) .

وما أبدع تلك اللحظات التي يبشَّر فيها المؤمن بالجنة وهو يودع الدنيا، وتتنزل عليه الملائكة وهو يحتضر قائلة له: لا تخف مما أنت قادم عليه، ولا تحزن على ما تركت في الدنيا.

قال تعالى : { إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا

(٢٠٨) رواه مسلم - رقم / ٩٥٠ .

(٢٠٩) المرجع السابق .





مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ } [٢١٠] .

وعندما يفارق المؤمن الدنيا تبقى ذكراه حية وسيرته بين الناس حسنة، لما كان يتحلى به من نفس زكية وأفعال مرضية، وما تركه من آثار طيبة .

وأما استراحة العباد من الفاجر فمعناه التخلص من شروره وظلمه، وإذا وقع في المعاصي فأنكروا عليه تعرضوا للأذى منه، وإذا سكتوا أثموا .

وأما الدواب فإنها تستريح منه لأنه كان يؤذيها ويضربها ويحمِّلها مالا تطيقه، ويتركها جائعة دون أن يبالي .

وأما الشجر فإنها كانت تُمنع القطر والمطر من السماء بسبب معاصيه وظلمه، بالإضافة إلى أنه كان يغصبها ويمنعها حقها من الماء [٢١١] .

فالفاجر كان في حياته ظالماً للناس مفسداً في الأرض، ولم تَسْلم من شروره حتى الحيوانات والنباتات، فإذا مات استراح منه العباد والبلاد والشجر والدواب، وفرحت القلوب للخلاص منه، وأصبح مصيرهُ إلى تلك الحفرة الضيقة المظلمة ليكون طعاماً للديدان وهوام الأرض، وكأنها تنتقم منه، فلا بد لكل ظالم من نهاية، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى .

وإذا مات الفاجر ينبغي سرعة الخلاص منه ليلاقي مصيره المحتوم .

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري t أن رسول الله e قال: (إذا وُضعت الجنازة، واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحةً قالت: قدِّموني، وإن كانت غير صالحة قالت: ياويلها، أين تذهبون بها ؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعه صَعِقَ) [٢١٢] .

وعن أبي هريرة t عن النبي e قال: (أسرعوا بالجنازة، فإن تَكُ صالحةً فخيرٌ تُقدِّمونها إليه، وإن يكُ سوى ذلك، فشرٌّ تضعونه عن رقابكم) [٢١٣] .

---

[٢١٠] سورة فصلت الآيات ٣٠ – ٣٢ .

[٢١١] شرح النووي على صحيح مسلم – ٢٣/٧ .

[٢١٢] رواه البخاري – كتاب الجنائز – رقم/ ١٣١٤ .

[٢١٣] رواه البخاري –رقم/ ١٣١٥، ومسلم – رقم/ ٩٤٤ .





٣

أسوء الناس سرقة

عن أبي قتادة t أن رسول الله e قال: ((**أسوأ الناس سرقةً الذي يسرق من صلاته.**
قالوا : يا رسول الله ، وكيف يسرق من صلاته ؟ قال :
لا يتم ركوعها ولا سجودها)) (٢١٤) .

التوجيهات:

مهما بلغ الفجور بالإنسان والجشع والطمع الذي يجعله يسرق الناس فإنه لن يفكر في سرقة نفسه .

فإذا سرق نفسه فهذا غايةٌ في العجب والاستغراب، لأنه لا يضر إلا نفسه وسيندم عندما يقف موقف الحساب العسير يوم القيامة، وما فائدة هذه الدقائق التي سيختصرها من صلاته حينما لا يكمل ركوعها ولا سجودها ولا الطمأنينة فيها ؟

وهل بلغ به ضيق الوقت أن يوّفر هذه الدقائق الغالية ليسرقها من صلاته لكي يوافق هواه ويُرضي وساوس شيطانه ؟

إنه إذا بلغ به السوء أن يعتبر وقوفه بين يدي ربه خسارة فقد خسر نفسه وزاغ قلبه، ولم يبق لديه ما يردعه عن سرقة الآخرين وظلمهم، وقد قال الأحنف بن قيس رحمه الله:

(من ظلم نفسه كان لغيره أظلم، ومن هدم دينه كان لمجده أهدم) (٢١٥) .

وتأمل الرواية الأخرى لهذا الحديث :

عن النعمان بن مُرة أن رسول الله e قال: (ما تَروْن في الشارب والزاني والسارق ؟ وذلك قبل أن ينزل فيهم الحدود . قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : هنَّ فواحش ، وفيهن عقوبة ، وأسوأ السرقة الذي يسرق صلاته .

---

(٢١٤) رواه أحمد ٥/ ٣١٠ واللفظ له، والدارمي رقم / ١٣٢٨، قال في حاشية المسند : حديث صحيح .

(٢١٥) أدب الدنيا والدين ــ للماوردي ــ ص/ ١٧١ .





قالوا : كيف يسرق من صلاته ؟ قال : لا يتم ركوعها ولا سجودها) [٢١٦] .

وعن أبي عبد الله الأشعري t أن رسول الله e قال : (مَثَل الذي لا يتم ركوعه، وينقر في سجوده مَثَلُ الجائع يأكل التمرة والتمرتين لا تُغنيان عنه شيئاً) [٢١٧] .

وهذه الحالة التي وصل إليها كثير من الناس سببها كثرة المعاصي والغفلة، وانشغال القلب بالدنيا، ووساوس الشياطين، فكانت نتيجة ذلك ظلمة القلب وطمسه . كما قال الله U { كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [٢١٨].

ولهذا لا بد للإنسان أن يجاهد نفسه في صلاته، ويطرد وساوس الشيطان، ويبعد عنه التفكير في أمور الدنيا ومشاغلها .

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : سألت رسول الله e عن الالتفات في الصلاة فقال : (**هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**) [٢١٩] .

وليحذر العبد من التهاون في شأن الصلاة وعدم إتقانها وإكمال أركانها .

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي e أنه ذكر الصلاة يوماً فقال: (**من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبيّ بن خلف**) [٢٢٠] .

وعن عبادة بن الصامت t أن النبي e قال: (**إذا توضأ العبد فأحسن الوضوء، ثم قام إلى الصلاة فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها، قالت: حفظك الله كما حفظتني، ثم أُصْعِد بها إلى السماء ولها ضَوْءٌ**

---

(٢١٦) رواه الإمام مالك في الموطأ ١ /١٦٧ .

(٢١٧) رواه الطبراني في الكبير، وأبو يعلى - رقم/٧١٨٤، وابن خزيمة في صحيحه ١/ ٣٣٢، وإسناده حسن كما قال المنذري في الترغيب - رقم/ ٧٣٨ .

(٢١٨) سورة المطففين/ آية ١٤ .

(٢١٩) رواه البخاري – رقم/ ٧٥١ .

(٢٢٠) رواه الإمام أحمد – ٢/ ١٦٩ رقم/ ٦٥٧٨ والدارمي ص/٣٠١، وابن حبان في صحيحه رقم ١٤٦٥ ، وإسناده جيد كما قال المنذري في الترغيب والترهيب - رقم/ ٨٢٠ .





ونور، وفتحت لها أبواب السماء) (٢٢١) .

والله U غني عن عبادتنا، ولو كانت قلوب العباد على أتقى قلب رجلٍ منهم ما زاد ذلك في ملكه سبحانه، كما جاء في الحديث القدسي: (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجلٍ واحدٍ منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحدٍ منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً ... يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) (٢٢٢).

فالله سبحانه يوفي عباده جزاء أعمالهم في الآخرة .

فليحذر العبد من لوم النفس على التقصير عندما لا ينفع الندم، وليجتهد في علاج مرض قلبه ليتذوق حلاوة الإيمان ولذة مناجاة الله سبحانه في الصلاة، لتكون معراجاً لروحه وسمواً لنفسه وانشراحاً لصدره.

---

(٢٢١) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده رقم/ ٥٨٥، والطبراني في مسند الشاميين ١/ ٢٣٩، رقم/ ٤٢٧ واللفظ له، والبزار في مسنده رقم ٢٦٩١، ٢٧٠٨ .

(٢٢٢) جزء من حديث رواه مسلم – رقم/ ٢٥٧٧، عن أبي ذر الغفاري t .





٣٤

مُحقِّرات الذنوب

عن سهل بن سعد t قال: قال رسول الله e : ((**إياكم ومحقِّرات الذنوب ، فإنما مَثل مُحقِّرات الذنوب كَمَثلِ قوم نزلوا بطن وادٍ ، فجاء ذا بعودٍ ، وجاء ذا بعودٍ ، حتى حملوا ما أَنضجوا به خبزَهم ، وإنَّ مُحقرات الذنوب متى يُؤخذْ بها صاحبُها تهلكه**))[٢٢٣] .

المفردات :

يؤخذ بها صاحبها: يحاسب عليها .

محقِّرات الذنوب: المعاصي التي يتهاون فيها الناس ولا يدركون خطرها .

تهلكه: تكون سبباً لهلاكه وعذابه يوم القيامة .

التوجيهات:

معظم الكبائر لا يصل إليها العبد حتى يتهاون في الصغائر، ويغتر بأماني المغفرة، فتجتمع تلك الصغائر، كما تجتمع الأعواد لتأجيج النار .

وتأمل معي هذا التوجيه النبوي البديع :

عن سعد بن جُنادة t قال: (لما فَرِغ رسول الله e من حُنين[٢٢٤] ، نزلنا قفراً من الأرض ليس فيه شيء، فقال النبي e : اجمعوا، من وجد عوداً فليأت به، ومن وجد عظماً أو شيئاً فليأت به) .

قال: فما كان إلا ساعةٌ حتى جعلناه ركاماً.

---

(٢٢٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٣٣١، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٩٣، وقال : رجاله رجال الصحيح، كما صححه السيوطي في الجامع الصغير "فيض القدير ٣/ ١٢٧" .

(٢٢٤) أي: غزوة حُنين .





فقال النبي e : (أترون هذا؟ **فكذلك تجتمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا، فليتق اللهَ رجلٌ، فلا يذنب صغيرةً ولا كبيرةً، فإنها مُحصاة عليه)** [٢٢٥].

وعن أبي هريرة t عن الرسول e قال: (إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكِتتْ في قلبه نُكتةً سوداء، فإن هو نَزَع واستغفر صَقُلَتْ، فإن عاد زِيدَ فيها حتى تعلو قلبه، فهو الرانُ الذي ذكر الله تعالى: { كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [٢٢٦]) [٢٢٧] .

وما أبدع دعاء الرسول e تعليماً لأمته، حيث كان يقول : (**اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نَقِّني من خطاياي كما يُنقَّى الثوب الأبيض من الدَّنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبَرَدَ**) [٢٢٨].

ولاشك أن تشبيه الذنوب بالنيران والحطب المشتعل له دلالات وعِبر مهمة، وقد قال الإمام ابن القيم رحمه الله :

(سألت شيخ الإسلام ابن تيميه عن معنى دعاء النبي e : (اللهم طهِّرني من خطاياي بالماء والثلج والبَرَدَ) ، كيف تطهر الخطايا بذلك ؟ وما فائدة التخصيص بذلك؟ والحار أبلغ في الإنقاء ؟

فقال: الخطايا توجب للقلب حرارةً ونجاسة وضعفاً، ويرتخي القلب، وتضطرم فيه نار الشهوة وتنجسه، فإن الخطايا والذنوب له بمنزلة الحطب الذي يمدُ النار ويوقدها، ولهذا كلما كثرت الخطايا اشتدت نار القلب وضعفه، والماء يغسل الخبث ويطفئ النار، فإن كان بارداً أورثَ الجسم صلابة وقوة، فإن كان معه ثلج وبَرَد كان أقوى في التبريد وصلابة الجسم وشدته، وأذهبَ لأثر الخطايا) [٢٢٩] .

---

(٢٢٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٦/ ٥٢، رقم/ ٥٤٨٥ ، وأورده الحافظ المنذري في "الترغيب والترهيب" – رقم/ ٣٦٣٩ .

(٢٢٦) سورة المطففين آية/١٤ .

(٢٢٧) رواه الترمذي – رقم/ ٣٣٣٤ وقال: حديث حسن صحيح ، وابن ماجه رقم/٤٢٤٤، وابن حبان في صحيحه –رقم /٩٢٦ ، والحاكم ٥١٧/٢ وصححه .

(٢٢٨) رواه مسلم – رقم/٥٩٨ .

(٢٢٩) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان – ١ /٥٧ .





فما أبدع هذا المعنى، حيث يشبه رسول الله e ما يرمي إليه من توجيه بالمثال المحسوس المشاهَد للناس ! فالذنب نار تتوقد والمغفرة ثلجٌ وبَرَد، وهما ماءان طاهران لم تمسهما الأيدي ولم يستعملهما أحد[٢٣٠] .

وقد بيَّن الإمام ابن القيم خطر التهاون في الصغائر والاتكال على أماني المغفرة، فقال رحمه الله: (إن العبد يعرف أن المعصية والغفلة من الأسباب المضرة له في دنياه وآخرته، ولكن تُغالطه نفسه بالاتكال على عفو الله ومغفرته تارة، وبالتسويف بالتوبة والاستغفار باللسان تارة، وكثير من الناس من يظن أنه لو فعل ما فعل ثم (استغفر الله) زال الذنب، وراح هذا بهذا ... وهذا الضرب من الناس قد تعلَّق بنصوص الرجاء واتكل عليها، وإذا عوتب على الخطايا والانهماك فيها سرد لك ما يحفظه من سعة رحمة الله ومغفرته ونصوص الرجاء)[٢٣١] .

ولا شك أن هؤلاء يخادعون أنفسهم، فالذي يحفظ نصوص الرجاء والرحمة ويتَّكلُ عليها وينسى نصوص التخويف والوعيد الشديد للعصاة، فكأنما ينظر بعين واحدة.

وقد ورد ذكر الرجاء والرحمة مقروناً بالتخويف والوعيد في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: { ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ }[٢٣٢] .

وقوله سبحانه : { إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ }[٢٣٣].

فالعاقل الذي يحسن الظن بالله ويرجو رحمته ينبغي له أن يحسن العمل، وإلا فحُسنُ الظن مع اتباع الهوى عجز، ومن اعتمد على العفو مع الإصرار على الذنب فهو كالمعاند .

وفي هذا يقول الحسن البصري رحمه الله : (إنَّ قوماً ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة، يقول أحدهم: لأني أُحسن الظَّن بربي، وكذب، ولو أحسن الظن لأحسن العمل)[٢٣٤].

ومن أبلغ وصايا ابن عباس t موعظته في التحذير من الوقوع في المعاصي ، حَيْثُ كَانَ يقول: (يا

---

(٢٣٠) التصوير الفني في الحديث النبوي - للدكتور محمد لطفي الصباغ - ص/ ٤٠٠ .

(٢٣١) الجواب الكافي – لابن القيم – ص/ ٢٠ .

(٢٣٢) سورة الحجر / ٤٩-٥٠ .

(٢٣٣) سورة الأعراف / ١٦٧ .

(٢٣٤) المرجع السابق – ص/٢٦ .





صاحب الذنب، لا تأمننَّ من سوء عاقبته، ولما يتبع الذنب أعظم من الذنب إذا علمتَهُ؛ فإن قِلَّة حيائك ممّن عَلَى اليمين وعلى الشمال وأنت عَلَى الذنب أعظم من الذنب الَّذِي عملته، وضحككَ وأنت لا تدري مَا الله صانعٌ بك أعظم من الذنب، وفرحك بالذنب إذا ظفرت بِهِ أعظم من الذنب، وحزنك عَلَى الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب إذا ظفرت بِهِ) [٢٣٥].

ولقد وصف الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود t حال المؤمن الصادق في خشيته من ذنوبه فقال: (إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعدٌ تحت جبل، يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذبابٍ مرَّ على أنفه، فقال به هكذا) [٢٣٦].

وكان أنس بن مالك رضي الله عنه يقول لتلاميذه من التابعين محذراً لهم من صغائر الذنوب :

(إنكم لتعملون أعمالاً هي أدقُّ في أعينكم من الشَّعر كُنا نعُدَّها على عهد رسول الله e من الموبقات) [٢٣٧] أي: المهلكات .

وقد قال الشاعر:

لا تحقرنَّ من الذنوب صغيرَها   إن الصغير غداً يعود كبيراً

كلُّ الذنوب وإنْ تقادم عهدُها   عند الإله مُسَطَّراً مسطوراً [٢٣٨]

ومن أمثلة محقرات الذنوب التي يتساهل فيها كثير من الناس: **الغيبة وانتقاص الآخرين**، وتأمل تحذير النبي e لزوجته عائشة رضي الله عنها لمجرد أنها أشارت بيدها تصف صفية رضي الله عنها بأنها قصيرة .

عن عائشة رضي الله عنها قلت للنبي e : " حسبك من صفية كذا وكذا " ، تعني قصيرة .

فقال e : **(لقد قلتِ كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته)** [٢٣٩].

---

(٢٣٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية - ١ / ٣٢٤ .

(٢٣٦) رواه البخاري – كتاب الدعوات - ٧/ ١٤٦ .

(٢٣٧) رواه البخاري – رقم/ ٦٤٩٢ .

(٢٣٨) بستان الواعظين لابن الجوزي – ص/ ١٧٤ .

(٢٣٩) رواه أبو داود – رقم/ ٤٨٧٥ – والترمذي – رقم / ٢٥٠٢ وقال: حديث حسن صحيح.





قال الإمام النووي : (أي : خالطته مخالطةً يتغير بها طعمهُ أو ريحه ، لشدة نتنها وقُبحها .. وهذا الحديث من أعظم الزواجر عن الغيبة أو أعظمها ، وما أعلمُ شيئاً من الأحاديث يبلغ في الذم لها هذا المبلغ)[240].

فليحذر المؤمن من صغار الذنوب كما يحذر من شرارة النار والسموم والجراثيم اليسيرة، خشية أن يكون فيها الأذى والمرض .

لا تحقــرنَّ صــغيراً في معاملــةٍ إن البعوضة تَدمي مُقلةَ الأسد

(240) الأذكار - للنووي - ص/536 .





أشد الناس هلاكاً

عن أبي هريرة t أن رسول الله e قال:

((إذا قال الرجل : هَلَكَ الناس فهو أهلكهم)) (٢٤١) .

المفردات :

هلك الناس: أي خسروا وضلوا .

أهلكهم: (بضم الكاف) أي: أحقُهم بالهلاك وأشدُهم هلاكاً .

(بالفتح) أي: تسبب في هلاكهم، لأنه جعلهم يقنطون من رحمة الله .

التوجيهات:

من أخطر الآفات المنتشرة بين الناس أن يُعجب المرء بنفسه ويحتقر الآخرين، وقد يقع الدعاة وطلاب العلم في هذه الآفة دون إدراك لعواقبها، فترى أحدهم ينظر إلى عامة الناس نظرة ازدراء واحتقار لما يفعلونه من معاصي، وينظر لنفسه نظرة إعجاب وإكبار لما يفعله من طاعات وعبادات وطلب علم، وإقبال على حفظ القرآن الكريم وتعليمه .

والنتيجة أن يصاب بالغرور والعُجب وكراهية الآخرين، ويصيب من حوله باليأس والقنوط والتمادي في المعاصي والآثام، وتقع الفجوة الخطيرة بين المصلحين وعامة الناس، والنفور الشديد بين هؤلاء وأولئك، وفي ذلك هلاك المجتمع وفساده .

وقد قال الإمام النووي في شرحه الحديث : (رُوي بالنصب والرفع، والأشهر الرفع، أي: أشدهم هلاكاً، وذلك إذا قال على سبيل الازدراء عليهم والاحتقار لهم، وتفضيل نفسه عليهم) (٢٤٢).

---

(٢٤١) رواه مسلم - رقم / ٢٦٢٣ – والإمام أحمد ٢ /٥١٧، وأبو داود – رقم/ ٤٩٨٣ .

(٢٤٢) الأذكار – ص/٥٦٥ .





ونقل عن الإمام الخطابي قوله: (لا يزال الرجل يعيب الناس ويذكر مساويهم، ويقول: فسد الناس وهلكوا ونحو ذلك، فإذا فعل ذلك فهو أهلكهم، أي: أسوأ حالاً فيما يلحقه من الإثم في عيوبهم والوقيعة فيهم، وربما أداه ذلك إلى العُجب بنفسه ورؤيته أن له فضلاً عليهم، وأنه خير منهم فيهلك)[٢٤٣].

ولنلاحظ قول الإمام مالك رحمه الله في تعليقه على هذا الحديث :

(وإذا قال ذلك تحزُّناً لما يرى في الناس من أمر دينهم، فلا أرى به بأساً، وإذا قال ذلك عُجباً بنفسه وتصاغراً للناس فهو المكروه الذي ينهى عنه)[٢٤٤].

---

[٢٤٣] المرجع السابق ص/٥٦٦ نقلاً عن معالم السنن للخطابي ٥/ ٢٦٠ .

[٢٤٤] ذكره أبو داود في سننه – رقم/ ٤٩٨٣ .





ذو الوجهين

عن أبي هريرة t قال: قال سول الله e : ((**تجدُ من شِرار الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجهٍ وهؤلاء بوجهٍ**)) [٢٤٥] .

التوجيهات :

ما أشنع حال المتظاهرين بالموافقة والتأييد لكل طائفة حسب ما تربطه بهم من مصالح دنيوية، فهو يأتي لكل طائفة بما يرضيها، ويُظهر لها أنه مخالف لضدها، وهذه أوصاف المنافقين، الذين وصفهم الله U بقوله: { مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا } [٢٤٦] .

قال الإمام القرطبي: (إنما كان ذو الوجيهن شر الناس لأن حاله حال المنافق، إذ هو متملق بالباطل والكذب، مدخلٌ الفساد بين الناس) [٢٤٧] .

وقال الإمام النووي: (سببه ظاهر لأنه نفاقٌ محض وكذب وخداع، وتحايلٌ على اطلاعه على أسرار الطائفتين، فيأتي كل طائفة بما يُرضيها، ويُظهر لها أنه منها في خيرٍ أو شرٍ، وهي مداهنة محرمة) [٢٤٨] .

وقد وردت أحاديث نبوية أخرى في التحذير من هذا السلوك القبيح وبيان عاقبته يوم القيامة .

عن عمار بن ياسر t قال: قال رسول الله e : (من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار) [٢٤٩] .

---

(٢٤٥) رواه البخاري - رقم/ ٦٠٥٨ ، ومسلم - رقم/ ٢٥٢٦ .

(٢٤٦) سورة النساء / آية ١٤٣ .

(٢٤٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٠/ ٤٧٥.

(٢٤٨) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/ ٧٨ .

(٢٤٩) رواه أبو داود - رقم/ ٤٨٧٣، والبخاري في الأدب المفرد - رقم/ ١٣١٠.





وعن أبي هريرة t قال : (لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أميناً) [250] .

ولا شك أن من اعتاد مخادعة الناس ليصل إلى مبتغاه سيقع في إحدى كبيرتين من الكبائر المهلكة :

- **إما الرياء**: بأن يتظاهر بالصلاح والتقوى ليكسب ثقة الآخرين ويستر حيله ومآربه النفسية الباطنة، وذلك إذا كان الذين يخادعهم من المؤمنين .
- **وإما المداهنة**: بأن يتظاهر بالرضا عن أعمال الكفرة والفسقة والمنحرفين، وعدم المبالاة بما يجاهرون به من المعاصي، لكي يظفر بمكاسب ومصالح منهم .

وفي كلتا الحالتين يقع المرء في نفاق الأعمال، ويوشك هذا النفاق أن يتأصل في نفسه حتى يكون خطراً على دينه وإيمانه [251] .

وقد أشار الحافظ ابن حجر رحمه الله إلى أمر مهم، وهو التفريق بين المحمود والمذموم في هذا العمل، فالمذموم أن يزيّن لكل طائفة عملها، ويذم كل طائفة عند الأخرى لينال مصلحته الشخصية، والمحمود أن يكون قصده الإصلاح بين الطائفتين، فيأتي لكل طائفة بكلام فيه الاعتذار عما فعلته الطائفة الأخرى، وينقل إليها الجميل ويستر القبيح[252] .

---

(250) رواه البخاري في الأدب المفرد - رقم/ ٣١٣، والإمام أحمد في مسنده ٢/ ٣٦.

(251) ينظر التفصيل في كتاب: (منهج الإسلام في تزكية النفس) للمؤلف- ص/ ٤٢٥.

(252) فتح الباري ١٠/ ٤٧٥



شخصية المسلم

عن حذيفة t قال: قال سول الله e : ((**لا تكونوا إمَّعة، تقولون: إنْ أحسنَ الناس أحسنَّا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطِّنوا أنفسكم، إنْ أحسَن الناس أن تُحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا**)) [٢٥٣] .

المفردات :

الإمَّعة : (بتشديد الميم) هو الذي لا رأي له فهو يتابع كل ناعق، ويقول لكل أحد أنا معك .

وطِّنوا أنفسكم: وطنَّ نفسه للأمر، أي: هيأها لفعله [٢٥٤].

التوجيهات:

المسلم له شخصية متميزة في جميع أحواله وشؤون حياته، وأفكاره وسلوكه وأخلاقه وأدبه، ونظافته وحسن مظهره .

وما أسوأ المسلم الذي يَتَلَوَّنُ حسب ما يحيط به في مجتمعه، ويتبع كل فكرة شاذة أو سلوك مهين أو تصرف سيء، ويبرر أفعاله وتصرفاته بأنه اعتاد أن يفعل مثل ما يفعله الآخرون ولا يقوى على مخالفتهم أو التميز عنهم .

ولقد أخبرنا النبي e عما يحلُّ بالمسلمين من ضعف وهوان حتى يتخلوا عن دينهم، وينقادوا وراء أصحاب المبادئ والأفكار والمعتقدات الأخرى، ويقلدوهم تقليداً أعمى دون بصيرة، ويشاركوهم في الظلم والبغي والفجور.

(٢٥٣) رواه الترمذي- رقم/٢٠٠٧ ، وقال حديث حسن غريب.

(٢٥٤) جامع الأصول ١١/٦٩٩ .





روى مسلم عن أبي سعيد الخدري t قال: قال رسول الله e :(لَتتَّبِعُنَّ سَنَنَ [٢٥٥]، الذين من قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جُحر ضَبٍ لاتَّبعتموهم . قلنا: يا رسول الله ! اليهود والنصارى ؟ قال: فمن ؟) [٢٥٦].

فتأمل هذا التشبيه والتمثيل بشدة الموافقة والتقليد حتى في أشنع الأمور وأشدها صعوبة وكراهية على النفس السوية، فلا يمكن للإنسان أن يتصور دخوله في جُحر الضب لما فيه من ضيق وقذارة ووحشة، فكيف يُقدم على تقليد غيره في هذا الخزي والهوان، ويتخلى عن سعة الإسلام وسموه وتميزه، والحياة الطيبة في رحابه .

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله :

(إن أخوَفَ ما يُخاف على أمةٍ ويعرضها لكل خطر، ويجعلها فريسة للمنافقين ولعبةً للعابثين، هو فقدان الوعي في هذه الأمة، وافتتانها بكل دعوة، واندفاعها إلى كل موجة)[٢٥٧].

فالمسلم متميز في عقيدته وعباداته التي تنشرح بها النفوس وتسعد بها القلوب، وتوافق الخصائص الفطرية الكامنة في أعماق الإنسان، وتحقق له الطمأنينة والرضا، وتجعل من رقابة الإيمان مانعاً من تعدي الإنسان على أخيه، وتدفع إلى العمل وعمارة الأرض بما يرضي الله U .

وما أبدع ثناء الرسول e على هؤلاء المتميزين من أمته، المتمسكين بهديه مهما خالفهم الناس وخذلوهم.

عن ثوبان t قال: قال رسول الله e : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي الله أمر الله، وهم كذلك) [٢٥٨].

قال الإمام البخاري: هم أهل العلم .

ولما ضلَّ الإنسان طريق التوحيد انطلق تائهاً يبحث عن طُرق شتى يلبِّي فيها مطالب روحه وجسده،

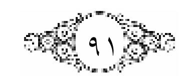
---

(٢٥٥) السَنن: الطُرق، والسنة: الطريقة .

(٢٥٦) رواه مسلم- رقم/ ٢٦٦٩ .

(٢٥٧) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – ص/ ٢٩٧ .

(٢٥٨) رواه البخاري – رقم/ ٧٣١٢، ومسلم –رقم/ ١٩٢٠ .





فازدادت همومه وشقاوته، وظلمه لنفسه وللآخرين .

فمن مظاهر تميز المسلم أن يكون فخوراً بما أنعم الله به عليه من الهداية للإسلام، والسعي لمرضاة الرحمن، ولا يرضى أن يسير مع التائهين في أضيق المسالك وأقبحها .

ومن مظاهر تميز المسلم :

أن يكون متميزاً بين الناس في حسن لباسه ونظافته، والاعتناء بمظهره، وطيب رائحته دون إسراف ولا تكلُّف، ودون تشبه بالكفار والفجار .

وهذا ما أرشد إليه النبي e أصحابه حيث قال لهم: (إنكم قادمون على إخوانكم فأصلحوا رحالكم [٢٥٩]، وأحسنوا لباسكم، حتى تكونوا كأنكم شامةٌ [٢٦٠] في الناس، فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحُّش) [٢٦١].

فينبغي للمسلم أن يُعرف أنه مسلم في حسن زيِّه، وتناسق هيئته، وكمال نظافته [٢٦٢].

وإذا كان هذا شأن المسلم عموماً، فإن ذلك يزداد تأكيداً بالنسبة لطلاب العلم وحملة القرآن الكريم ، الذين هم قدوة في مجتمعاتهم ، فليحرصوا على نظافة المظهر والاعتناء به، والبعد عن التقليد والتشبه بالفجار، فيما يسمى (الموضة) ، ويشتد التحذير لطالبات الحلقات والمراكز القرآنية، فهنَّ أولى بالتميز والحرص على الحشمة واللباس الشرعي، والافتخار به عن قناعة ومحبة .

---

(٢٥٩) الرحال : جمع رحل ، وهو ما يوضع على ظهر الدابة لركوبها وزينتها واستراحة الراكب عليها .

(٢٦٠) الشامة : الخال في الوجه أو الجسم، وهي نقطة سوداء تزيد الوجه جمالاً وحُسناً، والمراد: أن يكونوا ظاهرين بجمالهم ونظافتهم وحُسن مظهرهم .

(٢٦١) رواه أبو داود – ٤/٣٤٩ رقم/ ٤٠٨٩ واللفظ له ، والحاكم ٤ / ١٨٣ وصحّحه ووافقه الذهبي ، والإمام أحمد ٤/ ١٨٠ ، من حديث: سهل بن الحنظلية t . وحسّنه النووي في رياض الصالحين - رقم / ٧٩٨ .

(٢٦٢) ينظر: من أدب الإسلام – للشيخ عبد الفتاح أبو غدة – ص/١٢ .





إماطة الأذى عن الطريق

عن أبي هريرة t أن رسول الله e قال: ((**بينما رجلٌ يمشي بطريقٍ، وجدَ غُصن شوكٍ على الطَّريق، فَأَخَّرهُ، فشكر اللهُ له فَغَفَرَ لَهُ**)) [٢٦٣].

المفردات:

شكر اللهُ له : أي رضيَ فعله وقبِل منه وأثنى عليه.

التوجيهات:

لا شك أن من يحرص على إبعاد الشوك عن الطريق خشية إيذاء إخوانه صاحب قلب يقظ وشعور مرهف، وإحساس بالشفقة نحو الآخرين، ومن كان كذلك لا يتصور منه أن يظلم إخوانه أو يسيء إليهم، لأنه يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره أن يُصاب أحدهم بأي أذى حتى الشوكة التي يُشاك بها.

فما أحوج المسلمين اليوم إلى هذه المشاعر والخصال الحميدة .

وقد وردت روايات أخرى لهذا الحديث تبين ذلك:

ففي رواية لمسلم: (لقد رأيتُ رجلاً يَتَقَلَّبُ في الجنَّة، في شجرةٍ قَطَعها مِنْ ظهر الطَّريق. كانت تُؤْذِي النَّاس) .

وفي رواية أخرى : (مرَّ رجُلٌ بغصنِ شجرةٍ على ظهر طريقٍ. فقال: والله! لأُنحِّيَنَّ هذا عن المسلمين لا يُؤذِيهم. فَأُدْخِل الجنة) .

وعن أبي برْزَةَ. قال: قلت: يا نبي الله ! علِّمني شيئاً أنتفع به. قال: (اعْزِل الأذى عن طريقِ المسلمين) [٢٦٤].

وفي رواية قال: قلت يا رسول الله دُلني على عمل يدخلني الجنة، قال: (أمِطِ الأذى عن طريق الناس)

---

(٢٦٣) رواه البخاري رقم/ ٦٥٢، ومسلم رقم/ ١٩١٤ .

(٢٦٤) رواه مسلم رقم/ ٢٦١٨ .





.[٢٦٥]

وعن أبي ذر t عن النبي e قال: (عُرضت عليَ أعمال أمتي، حَسَنُها وسيِّئُها، فوجدتُ في محاسن أعمالها الأذى يُماط[٢٦٦] عن الطريق، ووجدتُ في مساوئ أعمالها النخاعة[٢٦٧] تكون في المسجد لا تُدفن) .[٢٦٨]

قال الإمام النووي : (هذه الأحاديث المذكورة ظاهرة في فضل إزالة الأذى عن الطريق، سواء كان الأذى شجرة تؤذي أو غصن شوك، أو حجراً يعثر به، أو قذراً أو جيفة وغير ذلك، وإماطة الأذى عن الطريق من شُعب الإيمان ، وفيه التنبيه على فضيلةِ كلِ ما نفعَ المسلمين وأزال عنهم ضرراً) [٢٦٩].

وقد ورد في الحديث عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله e: (الإيمان بُضع وسبعون أو بضع وستون شُعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شُعبة من الإيمان) .[٢٧٠]

ومن رحمة الله بعباده أنه يجازي بالأجر الكبير على العمل اليسير، فهذا العبد الذي أبعدَ الشوك عن طريق المسلمين أكرمه الله بالمغفرة والرضوان على هذا العمل الذي لم يستغرق منه إلا دقائق معدودة، ولكنه يدل على قوة إيمانه ومحبته لإخوانه وحرصه على سلامتهم .

وأما من ترك الأذى في الطريق وهو يعلم أنه سيؤدي إلى ضرر الآخرين فإن هذا يدل على أنانيته وعدم شفقته على الناس، رغم أن ذلك لن يكلفه جهداً كبيراً.

وقد قال الشاعر:

ومتى تفعلُ الكثير من الخيرِ إذا كنتَ تاركاً لأقلِّه [٢٧١]

---

[٢٦٥] رواه البخاري في الأدب المفرد - رقم/ ٢٢٨ .

[٢٦٦] أماط الشيء عن الطريق: أبعدَه وأزاله.

[٢٦٧] النخاعة: البُصاق.

[٢٦٨] رواه مسلم - رقم/ ٥٥٣.

[٢٦٩] شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/ ١٧٣ .

[٢٧٠] رواه مسلم - رقم/٣٥ .

[٢٧١] شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ١/ ٣٨٥.





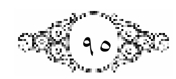
وفي مثل هذه الأفعال السهلة يتميز صاحب القلب الرحيم عن الإنسان الذي قسا قلبه وأظلمت نفسه، فالتراحم والتعاطف سمة من سمات الصالحين، ومَن نُزعت منه هذه الرحمة فهو الشقي الذي دنَّس نفسه بالأنانية وعدم محبة الآخرين من إخوانه وجيرانه .

ولقد أثنى الله U على عباده الرحماء الذين يتواصون بالمرحمة ، فقال تعالى : { ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ }[٢٧٢] .

فكيف يتخلّى المسلم عن التراحم والتعاطف وهو يعلم أنه طريق إلى مرضاة الله U وبلوغ جنته ؟!.

---

(٢٧٢) سورة البلد / الآيتان ١٧ - ١٨ .





موعظة جبريل

عن سهل بن سعد t أن رسول الله e قال: ((أتاني جبريل فقال: يا محمد، عِشْ ما شئتَ فإنك ميت، وأحْبِبْ من شئتَ فإنك مُفارِقُهُ، واعمل ما شئت فإنك مَجْزِيٌّ به، واعلم أنَّ شرف المؤمن قيامهُ بالليل، وعزَّهُ استغناؤهُ عن الناس)) [٢٧٣].

التوجيهات:

مهما طالت حياة الإنسان لا بد من الموت، ذلك الأجل المحتوم، واليوم الذي لا مفرَّ منه، والحقيقة التي لا يستطيع إنكارها أحد .

قال تعالى: { كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ } [٢٧٤] .

وتأمل قول الحسن البصري رحمه الله : (يا ابن آدم إنما أنت أيام، كلما ذهب يومٌ ذهب بعضُك) [٢٧٥].

وقول الشاعر :

إنـــا لنفـــرحُ بالأيـــام نقطعهـــا ... وكل يومٍ مضى يُدني من الأجل

ولهذا حثَّنا الرسول e على الإكثار من ذكر الموت، ليبقى العبد في تأهُّب واستعداد لملاقاة تلك الساعة، والتزود للدار الآخرة .

---

(٢٧٣) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن كما قال المنذري في الترغيب ٢/ ١١، والحاكم ٤/ ٣٢٤ وصححه ووافقه الذهبي، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني – رقم/ ٨٣١ .

(٢٧٤) سورة آل عمران آية/ ١٨٥ .

(٢٧٥) من أدب الإسلام – ص/ ٥٨ .





عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله e : (أكثروا من ذكر هادم اللذات) [٢٧٦]. يعني : الموت .

وإذا كان الموت سيهدم اللذات التي تعوَّد عليها الإنسان في دنياه، ويفرِّق بينه وبين أبنائه وأهله وأصحابه، فإن ما سيلقاه المؤمن في الجنة من نعيم مقيم، ولذة النظر إلى وجه الله الكريم، وصحبة سيد المرسلين، والعلماء والصالحين، لا يعدله لذائد الدنيا أبداً، ولهذا لا ينشغل المؤمن في دنياه عن السعي لإدراك هذه اللذائذ يوم القيامة .

وإذا تأملنا التوجيه النبوي الذي هو موضوع درسنا اليوم لوجدنا أن هذه الموعظة تلقَّاها النبي e من أمين الوحي جبريل u ، وكأنها موعظة أهل السماء لأهل الأرض ، ورسالة من الملائكة الأبرار للمؤمنين الأخيار ، لتكون نبراساً ونوراً يضيء طريقهم ، ويُسعدهم في دنياهم وآخرتهم .

وتتضمن هذه الموعظة وصيتين من أبدع الوصايا وأنفعها، وهما : الحث على قيام الليل، وغنى النفس .

فأما قيام الليل: فهو من أعظم النوافل والقُربات، وله آثاره المباركة في تزكية النفس وتغذية شجرة الإيمان في القلب، وقد أثنى الله U على عباده المتقين فقال سبحانه: { إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } [٢٧٧].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله e يقول: (إن في الليل لساعةً لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياهُ، وذلك كلَّ ليلةٍ) [٢٧٨].

وعن أبي هريرة t أن رسول الله e قال: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلةٍ إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلثُ الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له ! من يسألني فأعطيَهُ، من يستغفرني فأغفرَ له) [٢٧٩].

---

(٢٧٦) رواه الترمذي – رقم/ ٢٣٠٧ وقال حديث حسن غريب، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٠٨ .

(٢٧٧) سورة الذاريات / الآيات ١٥-١٨ .

(٢٧٨) رواه مسلم – رقم/ ٧٥٧ .

(٢٧٩) رواه البخاري ٧/ ١٤٩، ومسلم –رقم/ ٧٥٨ .





وأما غنى النفس(٢٨٠) : فهو الاستغناء بما قسم الله U والرضى به، وعدم التطلع إلى أموال الآخرين بالحسد والحسرة، والمبادرة إلى شكر المنعم على جزيل عطائه، وذلك هو الغنى الحقيقي الذي يحظى به المؤمن فينال العزة والكرامة والرضى والقناعة .

هي القناعة لا تبغي لها بدلاً   فيها النعيم، وفيها راحةُ البدن

وانظر لمن مَلكَ الدنيا بأجمعها   هل راح منها بغيرِ القطن والكَفَن ؟

(٢٨٠) سبق الحديث عن هذا الموضوع في شرح الحديث الرابع عشر ، وهو قول النبي e : (ليس الغنى عن كثرة العَرَض، ولكن الغنى غنى النفس) ـ ينظر ص/٣٨ .





غراس الجنة

عن أبي هريرة t قال: قال النبي e : ((**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**))[٢٨١] .

المفردات :

خفيفتان: إشارة إلى قلة كلامهما وأحرفهما، وسهولة جريانهما على اللسان.

ثقليتان في الميزان: لكثرة الأجور والحسنات المضاعفة للذاكر بهما .

حبيبتان: أي محبوبتان، والمعنى: محبوبٌ قائلهما .

التوجيهات:

ما أبدع هذه الكلمات وأزكاها، إنها غراس الجنة، وأحب الكلام إلى الله تعالى، ووصية سيدنا إبراهيم u لهذه الأمة، وقد ورد في فضائلها أحاديث نبوية كثيرة، ومن أبرزها:

ما رواه مسلم عن أبي ذر t قال: قال لي رسول الله e : (ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله تعالى ؟ إن أحب الكلام إلى الله : سبحان الله وبحمده) [٢٨٢].

وروى الترمذي عن ابن مسعود t قال: قال رسول الله e : (لقيت إبراهيم u ليلة أسري بي، فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان [٢٨٣]، وأن غراسها: سبحان الله ، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر) [٢٨٤].

فهذه الكلمات المباركات سبب لدخول قائلها الجنة ، وكثرة الأشجار التي يغرسها هناك في قصره ، لأنه

(٢٨١) رواه البخاري – رقم/٦٠٤٣، ٦٣٠٤، ٧٥٦٣، ومسلم –رقم/٢٦٩٤ .

(٢٨٢) رواه مسلم – رقم/٢٦٩٨ .

(٢٨٣) قيعان: جمع قاع، والقاع: الأرض السهلة المستوية.

(٢٨٤) رواه الترمذي – رقم/ ٣٤٦٢، وقال: حديث حسن.





كلما كررَّها نبت له أشجار في الجنة بعددها [٢٨٥] .

وعن جابر t عن النبي e قال: (من قال: سبحان الله وبحمده غُرست له نخلة في الجنة) [٢٨٦] .

وتأمل معي هذا الأسلوب النبوي المشوِّق في حث الصحابة رضي الله عنهم على الإكثار من ذكر الله U وتسبيحه :

- فقد روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص t قال:

كنا عند رسول الله e فقال: أيعجز أحدكم أن يكسب في كل يوم ألف حسنة ؟

فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب ألف حسنة ؟

قال: (يسبح مائة تسبيحه، فيُكتب له ألف حسنه، أو يُحط عنه ألف خطيئة) [٢٨٧] .

- وعن أنس بن مالك t أن رسول الله e مرَّ بشجرة يابسةِ الورق، فضربها بعصاه، فتناثر الورق، فقال: (إن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لَتُساقِطْ من ذنوب العبدِ كما تَساقَطَ ورق هذه الشجرةِ) [٢٨٨] .

- وعن أبي هريرة t قال: قال رسول الله e : (لأن أقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس) [٢٨٩].

- وعنه t قال: قال رسول الله e : (من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة، لم يأت أحدٌ يوم القيامة بأفضلَ مما جاء به، إلا أحدٌ قال مثل ما قال أو زاد عليه) [٢٩٠] .

ولا شك أن الذي يحافظ على هذه التسبيحات كل يوم صباحاً ومساءً قد تحصَّن بحصنٍ واقٍ من تسلُّط الشياطين، وتمرُّدِ النفسِ الأمارة، وإعراضها عن طاعة الله U ، ولا يكفي في ذلك مجرد النطق باللسان مع الغفلة، بل لا بد من حضور القلب، لأن الذكر لا يتحقق إلا بالتذكر والتفكر .

---

(٢٨٥) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي - ٩ / ٣٠٣ .

(٢٨٦) رواه الترمذي – رقم/ ٣٤٦٤، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢٨٧) رواه مسلم – رقم/ ٢٦٩٨.

(٢٨٨) رواه الترمذي - رقم/ ٣٥٣٣ واللفظ له، ورواه الإمام أحمد ٣/ ١٥٢ ورجاله رجال الصحيح كما قال المنذري في الترغيب والترهيب - رقم/ ٢٣١٥.

(٢٨٩) رواه مسلم – رقم/ ٢٦٩٥.

(٢٩٠) رواه مسلم – رقم/ ٢٦٩٢.





ولهذا قال الإمام النووي رحمه الله: (المراد من الذكر حضور القلب، فينبغي أن يكون هو مقصود الذاكر، فيحرص على تحصيله، ويتدبر ما يذكر، ويتعقَّل معناه) [٢٩١].

ونقل الحافظ ابن حجر عن ابن بطال قوله:

(هذه الفضائل الواردة في فضل الذكر إنما هي لأهل الشرف في الدين والكمال، كالطهارة من الحرام والمعاصي العظام، فلا تظن أن من أدمن الذكر وأصرَّ على ما شاء من شهواته وانتهك دين الله وحرماته، أنه يلتحق بالمطهرين المقدسين ويبلغ منازلهم بكلامٍ أجراه على لسانه ليس معه تقوى ولا عمل صالح) [٢٩٢].

وهكذا تحيا القلوب بذكر علاَّم الغيوب، وتَعْمُر بيوت أهل الإيمان بذكر الرحمن، وتبقى بيوت الغافلين المعرضين عن ذكر الله خاوية على عروشها لا حياة فيها، ولو كانت قصوراً مشيَّدة .

عن أبي موسى الأشعري t عن النبي e قال: (مَثَلُ البيت الذي يُذكر الله فيه والبيت الذي لا يُذكر الله فيه مَثَلُ الحي والميت) [٢٩٣].

ولقد أبدع الإمام البخاري رحمه الله حيث ختم كتابه (الجامع الصحيح) بهذا الحديث النبوي الذي نختم به كتابنا هذا تأسياً به وهو : (كلمتان خفيفتان على اللسان ...) .

وقد أوضح ذلك الإمام الحافظ ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري نقلاً عن شيخه الإمام البلقيني مبيناً أن الإمام البخاري ختم صحيحه بكتاب التوحيد، لأن أصل العصمة أولاً وآخراً هو توحيد الله U، ولما كان آخر الأمور التي يظهر بها المفلح من الخاسر ثقل الموازين وخفتها بدأ بحديث (الأعمال بالنيات) وذلك في الدنيا، وختم بأن الأعمال توزن يوم القيامة، وأشار إلى أنه إنما يثقُل منها ما كان بالنية الخالصة لله تعالى، وفي الحديث الذي ذكره ترغيب وتخفيف ، وحثٌّ على الذكر المذكور، لمحبةِ الرحمن له، والخفة بالنسبة لما يتعلق بالعمل، والثقل بالنسبة لإظهار الثواب، وجاء ترتيب هذا الحديث على أسلوب عظيم، وهو أن حب الرب سابق، وذكر العبد وخفة الذكر على لسانه تالٍ، ثم بيَّن ما فيهما من الثواب العظيم

---

[٢٩١] الأذكار ص/٣٤.

[٢٩٢] فتح الباري بشرح صحيح البخاري – ١٣/ ٥١٤ .

[٢٩٣] رواه مسلم – رقم/٧٧٩، ورواه البخاري رقم/٦٤٠٧ بلفظ: (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت) .





النافع يوم القيامة).

ثم قال الحافظ ابن حجر : (والذي يظهر أنه قصدَ ختم كتابه بما دلَّ على وزن الأعمال لأنه آخر آثار التكليف، فإنه ليس بعد الوزن إلا أحد الدارين)[٢٩٤] الجنة أو النار.

وقال الشيخ الشرقاوي: (إنما ختم المصنف كتابه بهذا الحديث المشتمل على الحمد بعد التسبيح، لأنه آخر دعوى أهل الجنة، قال الله تعالى: { دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ }[٢٩٥])[٢٩٦].

كما ختم الإمام المنذري كتابه (الترغيب والترهيب من الحديث الشريف) بهذا الحديث[٢٩٧] قائلاً : (ولنختم الكتاب بما ختم به البخاري رحمه الله كتابه، وهو حديث أبي هريرة t قال: قال رسول الله e :" كلمتان ..." ونستغفر الله سبحانه مما زلَّ به اللسان أو غلب عليه نسيان، فإنَّ كلَّ مصنَّفٍ مع التؤدة والتأني وإمعانِ النظر وطولِ الفكر قلَّ أن ينفكَّ عن شيء من ذلك ... واللهَ أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، إنه ذو الطَّوْل الواسع والفضل العميم)[٢٩٨].

اللهم آمين ، والحمد لله رب العالمين

---

(٢٩٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري – ١٣/ ٥٤٢ .

(٢٩٥) سورة يونس/آية ١٠.

(٢٩٦) فتح المبدي بشرح مختصر الزبيدي - للشيخ عبد الله الشرقاوي - ٥ / ١٠٤ وهو شرح (التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح) للإمام زين الدين الزبيدي .

(٢٩٧) كما ختم الحافظ ابن حجر في كتابه (بلوغ المرام من أدلة الأحكام) كتابه بهذا الحديث الشريف، ومن العجيب أن الشيخ محمد عبد العزيز الخولي لما وصل في كتابه (الأدب النبوي) إلى شرح الحديث الثمانين وهو هذا الحديث: (كلمتان خفيفتان ...) توفاه الله سنة ١٣٤٩هـ الموافق ١٩٣١م وأكمل تأليفه الشيخ مصطفى خفاجي حتى بلغ ١٣٠ حديثاً نبوياً، ينظر: الأدب النبوي ص/ ٣٠٢ .

(٢٩٨) الترهيب والترغيب – ص/ ٧٢٣ .





من بدائع توجيهات الصحابة رضوان الله عليهم

الصحابة الكرام رضي الله عنهم تلاميذ مدرسة النبوة، فتأمل معي هذه النماذج المختارة من بدائع توجيهاتهم وأحاديثهم، وتدبَّرها وكرِّرْها على مسامع إخوانك وتلاميذك، واتخذها منهجاً لك في حياتك .

١ - عن جندب بن عبد الله t قال: (كنا مع النبي e ونحن فتيان حَزَاوِرة [٢٩٩] ، فتعلَّمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلَّمنا القرآن فازددنا به إيماناً) [٣٠٠].

٢ - وعن عمر بن الخطاب t قال: (إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة، فإذا سمع العلم خاف ورجع وتاب، فانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب، فلا تفارقوا مجالس العلماء) [٣٠١].

٣- وعنه t قال: (اقرؤوا القرآن تُعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر، يوم تعرضون على الله U لا تخفى منكم خافية) [٣٠٢].

٤ - وعن عبد الله بن مسعود t قال: (ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مُفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون) [٣٠٣].

٥ - وعنه t قال: (عليكم بهذا القرآن، فإنه مأدبة الله، فمن استطاع منكم أن يأخذ من مأدبة الله شيئاً فليفعل، فإنما العلم بالتعلم) [٣٠٤].

---

(٢٩٩) حزاوِرة: جمع حَزْور، وهو الذي قارب البلوغ .

(٣٠٠) رواه ابن ماجه في سننه - باب الإيمان - ١ / ٢٣ .

(٣٠١) مفتاح دار السعادة – لابن القيم - ١ / ٧٧ .

(٣٠٢) المجالسة وجواهر العلم –للدينوري – ٤ / ١١٥ .

(٣٠٣) التبيان في آداب حملة لقرآن – للنووي – ص/ ٤٣ .

(٣٠٤) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١ /١٢٩ .





٦- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال: (من جمع القرآن فقد حمل أمراً عظيماً، وقد استدرجت النبوة بين جنبيه،إلا أنه لا يُوحى إليه، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يحدَّ فيمن يحد [٣٠٥]، ولا أن يجهل فيمن يجهل، وفي جوفه كلام الله U) [٣٠٦].

٧- وعن أبي بن كعب t أنه قال لرجل يوصيه: (اتخذ كتاب الله إماماً، وارض به حكماً وقاضياً، فإنه الذي استخْلَف فيكم رسولكم، شفيع مطاع، وشاهدٌ لا يُتهم، فيه ذكركم وذكر مَنْ قبلكم، وحكم ما بينكم، وخبركم وخبر ما بعدكم) [٣٠٧].

٨- وعن أبي الدرداء t أنه قال: (ليس الخير أن يكثر مالُك وولدك، ولكن الخير أن يعظُم حلمك ويكثر علمُك، وأن تباري الناس في عبادة الله U، إن أحسنت حمِدت الله، وإن أسأت استغفرت الله) [٣٠٨].

٩- وعنه t أنه قال: (إنما أخاف أن يقال لي يوم القيامة: أعلمت أو جهلت؟ فأقول: علمت، فلا تبقى آية من كتاب الله U آمرةٌ أو زاجرة إلا جاءتني تسألني فريضتها، فتسألني الآمرة هل ائتمرت، والزاجرة هل ازدجرت، فأعوذ بالله من علم لا ينفع) [٣٠٩].

١٠- وكتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما رسالة يقول فيها: (إن العلم كالينابيع يغشاهن الناس، فيختلجه هذا وهذا، فينفع الله به غير واحد . وإن حكمةً لا يُتكلم بها كجسدٍ لا روح فيه، وإن علماً لايخرج ككنز لا يُنفق منه. وإنما مثل العالم كمثل رجل حمل سراجاً في طريق مظلم يستضيء به من مرَّ به، وكلٌ يدعو له بخير) [٣١٠].

---

(٣٠٥) أي: لا تعتريه شدة الطيش وحِدَّة الغضب كما تعتري غيره .

(٣٠٦) رواه الحاكم في المستدرك ١/ ٥٥٢ وصححه ووافقه الذهبي، والآجري في كتابه: أخلاق أهل القرآن ص/٥٦.

(٣٠٧) تذكرة الحفاظ – للذهبي - ١/ ١٧ .

(٣٠٨) سير السلف الصالحين –للأصبهاني – ٢/ ٥٥٦ .

(٣٠٩) جامع بيان العلم وفضله – لابن عبد البر – ٢/ ٣ .

(٣١٠) رواه الدارمي في سننه – رقم / ٥٥٧ .





١١- وعن أبي هريرة t أنه قال: (إنَّ البيت ليتَّسعُ على أهله وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، ويكثُر خيره؛ أن يُقرأ فيه القرآن، وإنَّ البيت ليضيق على أهله، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين، ويقلُّ خيره؛ أن لا يُقرأ فيه القرآن)[٣١١].

i o o o o o p

(٣١١) رواه الدارمي في سننه – رقم/ ٣٣٠٩.

